

نفحات الإيمان

أحاديث تلفازية قصيرة

الدكتور عبد العزيز الخياط

دار البشير


نفحات الإيمان

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٢١٤،٦

عبد عبدالعزيز الخيّاط

نفحات الإيمان / عبدالعزيز الخيّاط. ـ عمّان :

دار البشير، ١٩٩٣

(١٤٢) ص

ر. أ (٤٢٨/٤/١٩٩٣).

١ـ الإسلام ـ عقيدة ٢ـ الإيمان

أ ـ العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

دار البشير

ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس: (٦٥٩٨٩٣) / تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان ـ الأردن

Dar Al-bashir

For Publishing & Distribution

Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

نفحات الإيمان

أحاديث تلفازية قصيرة

الدكتور عبد العزيز الخياط

دار البشير
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء

إلى نفحة نبوية من آل البيت

«الحسين بن طلال»

أقدم نفحات الإيمان

احتفاء بشفائه ومقدمه الميمون

أ. د عبد العزيز الخياط



تقديم

بقلم : دولة السيد زيد الرفاعي
رئيس الوزراء الأردني الأسبق

أمامي الآن هذه المجموعة الغراء من «نفحات الإيمان» التي كتبها سماحة الشيخ الأخ الدكتور عبد العزيز الخياط الذي نال ما ناله من علم ومعرفة، ولعل هذا الكتاب الجديد يضاف إلى مؤلفاته السابقة «الشركات في الشريعة الإسلامية و القانون الوضعي» و«المجتمع المتكافل في الإسلام» و«ظلال المجد» وعدد آخر من كتبه التي طبعت أو هي قيد الطبع لاغناء المكتبة الإسلامية العربية.

إنني أمام هذه المجموعة من «نفحات الإيمان» أتوجه أول ما أتوجه بالتحية والتقدير للدكتور الخياط على ما كرّس من جهد في هذه الأحاديث القصيرة التي كتبها للتلفزيون الأردني الذي بثها عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠م. وقد سبق لي أن استمعت إلى بعضها في فترات متقطعة، وهي أحاديث دينية تستريح لسماعها نفس المؤمن، ويطيب بها قلبه، وهو مقدم على تسليم نفسه في نومه لله عز وجل، وقد فرغ من كد نهاره وليله.. يذكر ربه ويفكر بآخرته فيتعظ ويعتبر، وينام راضي البال قرير العين، صافي السريرة، مطمئن النفس، مرتاح الضمير، فيسلم نفسه إلى خالق السموات والأرض ويردد قائلاً «اللهم وضعت جنبي إليك وأسلمت نفسي بطهر ونقاء».

ميزة هذه الأحاديث الدينية القصيرة أنها لا تقتصر على الموعظة الحسنة فقط، بل تدعو بأسلوب مشوّق فيه سلاسة وحسن تعبير إلى الاقتداء بالسير العطرة للصالحين والأخيار. ونحن في أمسّ الحاجة إلى مثل هذا النوع من الكتب التي

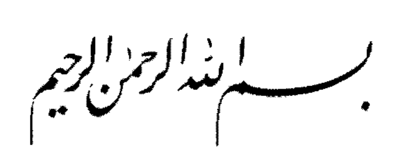
تتضمن الشـرح والتفسير وتتناول القوى الكامنة، طبيعية وبشرية، تستعرضها بطريقة تنفذ إلى قلب القارىء والسامع بكل يسر ولين.

نحن في أمسِّ الحاجة إلى هذه النزعة الطيبة التي تحض على مكارم الأخلاق وتدعو إلى الإيمان والتقوى ومخافة الله ومحاسبة الضمير.

في هذا الكتاب حديث عن الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.. فالكلمة الطيبة راحة ومحبة ومودة وقربى، أما الكلمة الخبيثة فهي ضلال وشر وفساد، لا تثبت ولا تبقى لأنها من العابثين والظالمين.. وما أحوجنا إلى الكلمة الطيبة والعبارة الحسنة التي تحث على الخير والبر والإحسان وتمحو الشر والأذى والفساد.

وبعد...

فأتمنى لهـذا الكتـاب النجـاح الذي يكافىء جهد صاحبه، كما أتمنى على المؤلف أن يتابع السير على هذا النهج الذي اختطه وأن يعمل قلمه ـ كما عودنا ـ في التوجيه الصحيح حيث يجب التوجيه.. فإذا كان العلماء بحاجة إلى التشجيع فإن الحاجة إلى معرفة الحقيقة أمسُّ وأدعى.. والحقيقة دائماً وأبداً أجدى وأنفع وأبقى.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد فهذه :

«نفحات الإيمان»

أحـاديث قصيرة جداً كتبتهـا للتلفزيون الأردني ابتداءً من ١٩٧٩/٧/٢١م . وبث كل ليلة في نهاية البث التلفزيوني في عام ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، لتستريح بسماعها نفس المؤمن ، ويطيب بها قلبه وهو مقدم على تسليم نفسه في نومه لله عز وجل ، وقد فرغ من كدّ نهـاره، وسهـر ليله ، ذكرته فيها بربّه وآخرته ودعوته إلى التدبر والعظة والاعتبار، لينام مطمئن البال ، قرير العين ، راضي النفس .

وقد أوقف بثها بعد أن استكتب آخرون ليكتبوا على نمطها فلم يفعلوا .

وقد جعلتها قبساً من آيات ربنا عز وجل ، ونوراً من أحاديث نبينا محمد ﷺ .

وهـا أنا ذا أقدمها بعد سنين من بثها الذي تواصل وتكرر ليالٍ طويلة ، لتكون ذخراً لي عند الله ، وذكرى مقروءة لدى القراء .

٢٩ رمضان ١٤١٣ هـ
٢٢ آذار ١٩٩٣ م

أ.د عبد العزيز الخياط

قال تعالى :

﴿الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربِّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثَّت من فوق الأرض مالها من قرار. يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدُّنيا ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[سورة إبراهيم : ٢٤-٢٦] .

الكلمة كلمتان :

طيِّبة وخبيثة :

طيِّبة تنزل من فم الإنسان الطيب حلوة المخرج، عذبة المسمع، ليّنة المذاق يتلقفها السمع وينزل بها على القلب برداً وسلاماً، ومحبة ومودة، فتستقر فيه وتثبت، ويتقبلها العقل ويعيها ويربطها بالوجدان لتكون ثمرات القلب حكمة وعلما، وروحانية القلب نوراً وضياء. . ثابتين مشرقين ممتدين ما بقيت الحياة كالشجرة المثمرة اليانعة المورقة المخضرة أبداً لا تزعزعها الريح، ولا تؤثر فيها العواصف، باسقة الجذع مطّلة الفروع لها ثمر وظل ممتدين، وتلك هي الكلمة الطيبة لها حكمة ونورانية ممتدان. يتفيأ الناس منها الظلال، ويأخذون منها الهدى. .

والكلمة الخبيثة فساد وضلال. . ظلام يعتم العقل ويقسي القلب. . هشيم تذروه الرياح، لا يثبت ولا يبقى، شجرة يابسة هشة لا تصمد لريح، ولا تعطي الثمر.

فيا أيها الذين آمنوا!

الكلمة الطيبة منكم ولكم أنس وحياة ونور. والكلمة الخبيثة ليست منكم ولا لكم هي ضلال للظالمين وفساد للعابثين. . فكونوا أصحاب الكلمة الطيبة **﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمَّن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾** .

صدق الله العظيم

قال تعالى :

﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كلّ ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفّار﴾ [إبراهيم ٢١-٢٤].

يا أيها الإنسان!!

اسمعني في هدأة الليل.. وأنت مقبل على تسليم نفسك لله... في نوم هانىء عميق...

اسمعني:

الله الذي خلقك يسّر لك الحياة، وذلل لك سبلها، وأنعم عليك بنعمه ظاهرة وباطنة، وجعل بين يديك سماء فيها نجوم تمتع ناظريك بأنوارها اللألاءة. وجعل لك أرضاً واسعة تضرب فيها سفراً من أقصاها إلى أقصاها.. وربط بين السماء والأرض بماء ينزل من السماء، فتتلقفه الأرض حياة وثمراً تأكل منه.. ورزقاً يتنوع حسب حاجاتك هو طعام تتغذى به، وثياب تلبسها، وأثاث تتنعم به، ورياش تقتنيها، وحيوان تنتفع به وهو ماء يتفجر ينابيع.. أو تسيل به الأودية أنهاراً.. أو تصطخب به الأواذي بحاراً تسير فيها قواربك، وتمخر عبابها سفينتك.. جعلها بين يديك مسخرة.. مذللّة، تستضيء بالشمس في نهارك.. وتستكن في الظلام في ليلك.. وأجرى بين يديك ما تشتهي نفسك، ويسأله قلبك.. **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها..﴾** فلا تكن أيها الإنسان منكراً لله.. جاحداً لنعمه بل ودِّع يومك بشكر الله.. حين تسلم نفسك إليه لتصطبح بنعمة النهار حين تفيق.. ولا تكن ظلوماً لنفسك كفاراً لنعمة الله..

قال تعالى :

﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنياة والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً**﴾ [الكهف: ٤٦].

يا أخي المشاهد

قف معي لحظات قبل أن تغلق التلفاز.

المال بين يديك نعمة، تستعين به على قضاء حوائجك، وهو وسيلتك للاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا، فلا تجعله نقمة تبطر به وتتخذه للترف والمعصية ونكران النعمة.. هو زينة لك في دنياك ليكون لك ذخراً باقياً صالحاً في اخراك.. فاجعل منه لعباد الله الفقراء نصيباً، اجعل منه لمشاريع الخير ومعونة المحتاجين وبناء المساجد والمياتم والملاجىء ما يكسبك الأجر والفخر..

وولدك نعمة وزينة لك في حياتك فربهم تربية الخير وعلمهم ليكونوا أدوات بناء وثقفهم بالدين والخلق وأدبهم بآداب القرآن والنبوة ليكونوا زينتك في دنياك، وخَلَفك من بعدك، وذخرك في حياتك..

هذا هو الباقي.. ثواباً.. وهذا هو المأمول مستقبلاً...
ما أحلى الأمل إذا تعلق بالمال لوجه الله...
وما أمتع الأبناء إذا كانوا ذخر الحياة...

قل إذا رأيت مالك ما شاء الله.. اللهم زدني من نعمك وأعني على طاعتك.. وقل إذا رأيت ولدك.. ما شاء الله اللهم اجعلهم قرة عين لي في دنياي، وثوابي في أخراي واحيهم في طاعتك...

وأَعِنِّي على أن أجعل من مالي وولدي سبيلاً إلى مرضاتك بالعمل الصالح ومنفعة أمتي ووطني وأهلي : ﴿**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا**﴾

قال تعالى :

﴿فلا أقسم بالخنَّس الجوار الكُنَّس والليل إذا عسعس والصُّبح إذا تنفّس إنَّه لقول رسول كريم﴾ [التكوير: ١٥-١٩].

يا الله ما أروع هذه الصورة الجميلة

يقسم الله بمظهر من مظاهر خلقه في هذا الكون، يقسم بشيء لم تكن تعرفه العرب علماً. . ولكنهم يعرفونه ظاهراً في إعجاز من اللفظ، وموسيقى من التركيب يأخذ باللب، ويفتن البليغ.

والخنس النجوم التي تكر راجعة من حيث ابتدأت في سيرها، والخنس المختفيات. . نجوم تختفي في النهار وتبرز في الليل زحل والمريخ والمشترى وعطارد والزّهرة.

والصبح يتنفس. . يمتد كالنفس حتى يصير نهاراً. . فتختفي النجوم تحت ضوء الشمس الباهر. . حتى إذا دارت الشمس دورتها أو دارت الأرض تحت ضوء الشمس دورتها. . أقبل الليل وعسعس فتبرز النجوم مع إقبال الليل. . وهكذا ظهور واختفاء. . ونهار وليل. . ونور وظلام. . وفق نظام بديع رائع أفلا يدل هذا على وجود الله. . وإلا فمن نظم هذا النظام بديع رائع أفلا يدل على وجود الله. . . وإلا فمن نظم هذا النظام وأبدعه هذا الإبداع. . فآمنوا أيها الناس بما جاءكم به رسول الله. . إنه لقول رسول كريم. .

جاء بهذا الإعجاز في الإيجاز والتناسق في اللفظ كتناسق الخَلْق. . والإيقاع في الحروف المتنوعة فمنها المهموس ومنها المنغم «**فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس**﴾ صدق الله العظيم.

قال تعالى:

﴿ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾ [النحل: ٧٧].

الأرض نقطة أو أقل من النقطة في هذا الكون الفسيح، وماذا يكون الإنسان وهو فرد من الملايين التي تسكن الأرض بجانب ملايين الملايين من النجوم.

لا يكاد يبين.. ومع ذلك حاول أن يستريد الفضاء.

واستراده... وما زال.. مركبات من الفضاء تسبح في الفضاء وصواريخ تطلق لعلها تصل إلى بعض الكواكب القريبة من الأرض...

النجوم في مساراتها وتعرجاتها وأبراجها والسماء والطارق والسماء ذات البروج.. وما فيها ومن فيها.. كلّه غيب كله عند الله... وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.. فالله الذي يعلم.. والله المسيطر..

بالأمس حدثت هزة خفيفة في عمان فطارت الألباب وفزعت النفوس.. وفي مناطق من الأرض حدثت هزات وفي لمح البصر أو أقرب زالت من الأرض عمارات وغارت في الأرض أبنية.. ومات من الناس كثيرون.

والساعة بيد الله تحدث في لحظات أقرب من لمح البصر فلماذا إذن يا أخي لا تريد أن تدرك أنك في الدنيا لست مقيماً.. وأنك فيها عابر سبيل.. فاعمل صالحاً إذن.. قبل الرحيل.

قال تعالى :

﴿الله الـذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الـودق يخـرج من خلالـه فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشـرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ [الروم : ٤٨-٥٠].

مظهر من مظاهر خلق الله يدل على عظمته، ويجعلك مؤمناً بأن لهذا الكون مسيراً بيده مقاليد الأمور أعظم منك أيها الإنسان . . جعل الكون على أبدع نظام . .

وهذا النظام الرائع له مظهر من مظاهر، مظهر يجمع بين ما نسميه بالنقيضين في آن واحد . . . النار والماء . . والسحاب والبرق . . الصواعق والأمطار. هذه الرياح يحركها الله . . فتحرك السحاب وتسوقه وتمدده في آفاق السماء شرقاً وغرباً . . ويسير السحاب في سرعات مختلفة **﴿ويجعله كسفاً﴾** ويكثف في جهات . . . ويخف في جهات **﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً﴾** أي متراكماً بعضه فوق بعض . .

ثم يخـرج منـه المـطر ويسحّ على الأرض العطشى الهامدة . . فإذا هي تهتز مستقبلة قطرات الماء . . وإذا هي تتحرك لتستأنف الحياة . . ويرقب الإنسان مشهد الرحمة النازلة على الأرض المتطلعة . . فإذا هم يستبشرون . . ويسرون . . . وكانوا من قبل في قنوط من رحمة الله ، ويأس من نزول المطر . . يسرون بالأرض يربو زرعها وتشـرق خضرتها وينضر وجهها . . ويضحك زهرها . . ويتفجر ماؤها . . . ويتدلى ثمرها . . أليس في هذا حياة إنها حياة الإنسان كذلك . . الله قادر على أن يحيي الإنسان كإحياء الأرض .

فازدد إيمـانـاً يا أخي السامع وتثبت يقيناً، فالذي أنزل الماء وأطلع منه البرق . . والذي جعل من بين المطر صواعق، والذي جمع بين النار والماء يستطيع أن يهب لك الحياة بعد الموت . .

﴿إنَّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ .

قال تعالى :

﴿فإذا جاءت الطامّة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى، وبرزت الجحيم لمن يرى، فأمّا من طغىٰ وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات : ٣٤-٤١].

صورة من صور يوم القيامة . . .
ألست يا أخي تؤمن بأن الموت حق . . .
وأنك بعد الموت صائر إلى حياة أخرى . . حياة أكبر وأفسح وأرحب . . .

الله ربك الذي خلقك، وخلق الكون والموت والحياة يخبرك بهذا . . فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يتذكر الإنسان ما قدمه في دنياه.

يتذكر سعيه في الخير أو الشر . . . فإن كان ممن طغا وكفر وجحد وظلم وبغى واعتدى وتكبر وفسق ونهب وسلب واغتر بماله وجاهه، أو كان ممن عمل السوء والمعاصي وعاش لدنياه ونسي ربه وأعرض عن فعل الخيرات، فإن الجحيم هي مأواه.

وأما من خاف مقام ربه، وشكر نعمته، وعمل الخير، وساهم في البرّ، ولم يغرره سلطان ولا مال ولا جاه، أو كان فقيراً فصبر وأطاع وتخلق بالخلق الحسن، وخاف الله واتقاه، وخشي أن يقف يوم القيامة بين يديه من غير عمل صالح . . فعمل صالحاً، وقمع هواه، واتبع رضوان الله فإن الجنة هي المأوى . .

بل هي جنتان . . لا جنة واحدة، وثوابان لا ثواب واحد، ومكرمتان لا مكرمة واحدة . .

﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان . ذواتا أفنان . فيهما عينان تجريان . فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

قال تعالى :

﴿**يـا أيُّهـا الـذين آمنـوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا وتعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ [النساء : ١٣٥] .

الإنسان المؤمن منصف . . عادل لا يظلم ولا يجور، ولا يشهد زوراً ولو كان في ذلك مصلحة له . .

العـدل صفة من صفات المؤمنين ، لا يمنعه العدل من أن يقول الحق، وأن يشهد بالحق ولو على نفسه أو والديه أو أقربائه ، ولو كان له السلطان والجاه ، والقوة والجبروت . . ولو كان فقيراً يحتاج بشهادته إلى المال والرزق . . هو من الله . . . فليقل الحق والله كفيل بأن يحميه ويرزقه ويغنيه ، ولا يتبع الهوى فإن اتباع الهوى ضـلال وفساد .

جلس عمر يقسم ثياباً بين نساء المدينة فبقي منها ثوب فقال له أحد الحاضرين يا أمير المؤمنين اعط هذا الثوب بنت رسول الله التي عندك (يريد زوجته أمّ كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال عمر: أمّ سليط (امرأة فقيرة) أحق بها فإنها ممن بايع رسول الله ، وكانت تحمل القرب للجيش يوم أحد .

فاشهدوا بالعدل ، واحكموا بالعدل ولو على أنفسكم ، ولا تحملنكم عداوة على اتباع الهوى ، ولا تجرنكم مصلحة إلى ترك الشهادة بالحق والعمل بالحق . . .

فالعدل أقرب للتقوى . . . والمؤمن يتصف بالإنصاف . . .

قال تعالى :

﴿أنْـزلَ من السَّمـاء ماء فسالت أوديةٌ بقدرِها فاحْتملَ السيلُ زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النَّارِ ابتغاء حليةٍ أو متاعٍ زبدٌ مثله، كذلك يضرب الله الحقَّ والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ [الرعد : ١٧].

الحق . . والباطل . . كالماء وزبد المـاء . . الحق . . باق ولا يزول والباطل - ولو علا - زائل لا يدوم . . . الماء يمكث في الأرض والزبد يذهب جفاء . الله ينزل الماء من السماء . . وتسيل الأودية بمائها . . ويجري الماء في الوديان ويسوق معه . . فيما يسوق . . كثيراً من نفايات الأرض . . يعلو بها السيل . . ويتميز الماء والزبد . . الزبد عال ظاهر فوق الماء الجاري . . وينفي الماء الزبد . . كما تنفي النار خبث الحديد والمعادن . . ويخرج زبدها ويبقى صافي الحديد والذهب والمعادن . . . كما يمكــث الماء في الأرض ويذهب الزبد جفاء باطلاً مرمياً . . . كالباطل الذي يعلو في فترة من الفترات . . .

وكـالحق الذي يظن أنه يخبو في فترة من الفترات . . لكن الحق ينفي الباطل ويلقي به بعيداً ويبقى أبلج واضحاً كما يبقى الماء النافع . . والذهب الخالص . . **﴿بل نقذفُ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾**.

فلنتمسك بالحق ولو علا صوت الباطل ولنكن معه . . . ولو كانت القوة حيناً مع الباطل . . ولندرك أمثال القرآن يضربها الله للعالمين العاقلين . . .

قال تعالى :

﴿ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربّنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة: ٢٨٦].

في هدأة الليل. . والناس تلقي بأثقالها وأحمالها، وتزيح عن كواهلها متاعب يوم لاغبٍ دؤوبٍ. . وقد استراحت قليلاً أو أكثر من القليل، وقد سهرت لتستمتع، أو استمتعتْ بسهرتها. .

لا بد أن نتجه قبل النوم إلى الله. . . نحاسب أنفسنا، ونراجع أعمالنا في لحظة خاطفة لا تثقل النفس، ولا تبهظ القلب. . في لحظات نحاسب حساب الظرفاء. . لا بالمراجعة والمعاودة والتكرار. . ولكن بصفاء النفس، ونقاوة القلب، والاتجاه إلى الله العلي القدير. . نذهب الذنوب ـ إن أذنبنا ـ ونغسل الخطايا ـ ما أخطأنا ـ ونطلب المغفرة من الذنب والخروج من الخطايا. . والعفو عن الإساءات. . ونطلب أن نظل كذلك انقياء أصفياء. . وأن يبعد عنا ربّنا مالا نحتمله من البلاء وان يخفف عنا أعباء الحياة وأثقالها. . أو يعيننا على مواجهة صعوباتها وتكاليفها. . وأن لا يجعلنا وحدنا في مواجهة أعدائنا أعداء أنفسنا. . . أعداء ربنا. . أعداء ديننا. . أعداء أمتنا. . بل ينصرنا ويرحمنا. . . ويعفو عنا ويغفر لنا **﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾**.

ولا تحمل علينا إصراً أمراً يثقل علينا حمله. .

ولا تحملنا مالا طاقة لنا من التكاليف والبلاء. .

وامح ذنوبنا وارحمنا. .

شأنك في الرحمة دائماً وفي النصر دائماً . .

فانصرنا على القوم الكافرين . .

وما أجمل دعاء النبي المختار «اللهم إني أسألك خير هذا اليوم : فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، وأعوذ بك من شر ما بعده» . .

يا أرحم الراحمين . .

قال تعالى :

﴿ادْعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق ممّا يمكرون إن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢، ١٢٨].

ما أحسن الكلمة تقال نصحاً رفيقاً تمس شغاف القلب، وتوجه نحو الخير. .
ما أحسن أن يؤمن الإنسان بما يرضي الله وأن يدعو الناس إلى ذلك بالأسلوب الحسن والتذكير الجميل. . دون غلظة أو تنفير. . .

جاء رجل إلى هارون الرشيد الخليفة العباسي العظيم وقال له: سأعظك بكلام قاس. . فقال: له يا هذا إن الله أرسل من هو خير منك إلى من هو شرٌ مني فقد أرسل موسى وهارون إلى فرعون فقال: فقولا له قولاً ليناً لعله يذكر أو يخشى. . .

وما أجمل أن يناقش الآخرين. . ولو خالفوه فيما يؤمن بالحسنى واللين، فالدعوة إلى الهدى تنقلب خسراناً إذا كانت بالفظاظة والغلظة. . وتصبح هداية إذا كانت إقناعاً وإرشاداً. . .

والمؤمن لا يكون حقوداً ظالماً يتجاوز الحد في عقوبة الآخرين بل يقتص بمقدار ما أصابه من أذى. . ولئن عفا وصبر لهو خير. . . فالصبر على أذى الآخرين، والدفع بالتي هي أحسن مجلبة للمحبة وإزالة للأحقاد وتأليف للقلوب.

قتل حمزة عم النبي ﷺ في معركة أحد ومثل به المشركون فلما رآه النبي ﷺ ساءه ذلك وأقسم ليمثلن بسبعين منهم فنزل: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم

به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾. فالصبر على المكاره والمكايد، واحتمال الأذى في سبيل الله خير، فيا أخي المشاهد:

اصبر على ما أصابك. . ولا تضق صدراً بمن يكيد لك، فالمكر ينقلب على صاحبه، والكيد ضدك ينقلب لك. والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال تعالى :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّن لهم دينهم الذين ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ [سورة النور: ٥٥-٥٦].

تأمل في هذه الآيات. . وانظر معناها من أدناها. . اعبد الله. . أقم الصلاة. . أعط الفقير حقه من الزكاة. اطع رسول الله باتباع سنته. . تستنزل رحمة الله. . وما رحمة الله. . ألسنا في ضياع وتمزق. . . أليس عدونا مسيطراً علينا. . ألم يغلبنا على الأرض والمقدسات. . ألم يخرجنا من ديارنا. . ألا يثير الرعب في نفوسنا. . ألم يكن له السلطان على فلسطين كلها. . ألم يتمكن من المسجد الأقصى. . ألم يستول على معابد النصارى. . ألم يقتل الأهل والأبناء. . ويمتلك الأرض ويقيم المستوطنات. . . ويضع الناس كل الناس. . اخواننا هناك في أسوأ حال. .

ألم يفرق شمل العرب والمسلمين. .
وعدنا الله بالنصر والرحمة إذا عدنا إليه. . .

وسنعود ولو طال الزمان. . ولنكونن الخلفاء على الأرض مرّة أخرى. . وليذهبن الباطل وليرتفعنّ صوت الحق. . ولتنطلقنّ من مآذن القدس صيحات التكبير مجلجلة ولتذهبن آهات الحزن من صدور الأيامى والثكالى. . وليصبحن ثغاء الأطفال. . صيحات فرح وتهليل. . . وليشرقنّ وجه الأرض في كل مكان.

الأمن سيعلو. . . والخوف سيذهب. . والنصر سيجيء. . فقط. . . لنعد العُدَّة ونرجع إلى الله وهو حسبنا ونعم الوكيل. .

قال تعالى :

﴿وقال ربُكم ادعوني استجب لكم إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين﴾ [غافر : ٦٠].

وقال : **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾** [البقرة: ١٨٦].

يا أخي :

أنت مخلوق لله صنعك فأحسن صنعك، وقومك فأحسن تقويمك، خلقك فسواك فعدلك، فأنت من خلق الله.. بيده حياتك وموتك... بيده صحتك وسقمك.. بيده تصريف دنياك.

فلا تستكبرن عن عبادته باللجوء إليه.. حين تضيق بك النفس.. أو تصعب عليك الأمور. أو تقع في الهم والحزن.

الله منك قريب فلا تظن أنك عنه بعيد، الله أقرب إليك من حبل الوريد فلا تعتقد أنك عنه بمكان سحيق، في اليسر والرخاء الجأ إليه.. تعبده بالدعاء يستجب لك ويكن معك، والجأ إليه في الرخاء يكن معك في الشدّة. والدعاء عبادة..

فاللهم أنت أحق من ذكر.. وأحق من عبد.. وأنْصَرُ من ابتغي عليه، وارأف من مالك.. وأجود من سئل.. وأوسع من أعطى...

أنت الملك لا شريك لك.. والفرد الذي لا ندّ لك، كل شيء هالك إلا وجهك.. لن تطاع إلّا بإذنك.. ولن تعصى إلا بعلمك.. تطاع فتشكر.. وتعصى فتغفر. أقرب شهيد.. وأدنى حفيظ...

حلت دون النفوس وأخذت بالنواصي ، وكتبت الآثار ونسخت الآجال. . القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرّمت. . والدين ما شرعت. . والخلق خلقك والعبد عبدك وأنت الله الرؤوف الرحيم. . أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك. . أن تقبلني في هذا المساء وأن تجيرني من النار بقدرتك. . . حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

قال الله تعالى :

﴿قُــل منْ ربُّ السمـوات والأرض قل الله قل أفـاتَّخَـذتُم منْ دونـهِ أوليـاءَ لا يملكـون لأنفسهِمْ نفعاً ولا ضراً، قل هلْ يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلماتُ والنُور﴾ [الرعد: ١٦].

هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف ملايين النجوم. . والكواكب تسبح في الفضاء طبقات من الأجواء بعضها يَرْكم بعضاً . .

وارض نعيش عليها. . . فيها من الخيرات الحسان، ووسائل الحياة من الحيوان والشجر والماء والنبات، ومخلوقات لا يحصيها الإنسان عدداً. . . ونباتات تمتد في السمـاء وبـاطن الأرض. . . تتجدد وتتوالد وتتكاثر. ونظام متناسب بديع. . من يصرِّف هذا جميعاً؟

من أوجـد النظام الذي يمسك السموات والأرض؟ الطبيعة. . . وهي النظام نفسه والشيء لا يوجد نفسه. . وما هي الطبيعة؟ أليست مرتبطة بالسموات والأرض ومـا فيهـا ومَنْ فيهـا. . فهي جزء منـه. . والجـزء محكوم بحكم الكل. مَنْ ربُّها المتصرفُ فيها. . ؟ هو الله خالقها ومبدعها فلم إذن. . أيها الإنسان تلتجىء لغير الله . . وتؤمنُ بغير الله، وتعتقدُ الضرر والنفع فيمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فلا تخضع إلا لله.

تبصـر فيمـا حولـك وآمن. . . تبصر في دنياك واتجه إلى الله ولا تكن أعمى فالبصير خبير. واسبـح في النـور ودع عمايات الظلام. . فالظلام مسبح الشر. . والنور مسبح الخير. . قبل أن تنام. . آمن.

واسلم نفسـك ـ بعد ذلك ـ لرب السموات والأرض. . قل: «باسمك اللهم وضعت جنبي وإليك أسلمت نفسي».

قال سبحانه :

﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ [الأعراف : ٥٧].

يا أخي :

دلّ الـرصد الجوي على سطح الأرض أن الرياح إنما تتبع في مسيرها قواعد معيّنة تجعلها توزع على الأرض بطريقة خاصة في المتوسط هي لدورة عامة، ولما كان الدافع للهواء على الحركة هو الضغط الجوي، فإنه من الطبيعي أن تجد توزيع الرياح على الأرض مرتبطاً بتوزيع الضغط الجوي، وهو مرتبط بتوزيع درجات الحرارة.

والـرياح تأخذ مسارات منظمة في ارتفاعها وهبوطها واندفاعها في الاتجاهات المختلفة وإثارتها للسحب الممطرة وفق نظام دقيق يتبع حالات السخونة والبرودة وقلة الأكسجين ونـوعية الطبقات، وتتغير الرياح في اتجاهاتها ومساراتها بحسبه ويخيل لمن في الأرض أنـه متغير من غير نظام، مع أنـه نظام يتبعه توزيع السحب على الأرض بشرى للبشر، يأملون رحمة الله في المطر، وتأتي الانخفاضات الجوية ولا سيما الباردة منها ـ وهي أسرع من الساخنة ـ فتنكمش مساحات الجهة الساخنة حتى تختفي ويتم رفع الهواء الساخن إلى أعلى وتقل الرياح السحب الثقال، وتخفض بها فوق الأرض، وتحركه الرياح بإذن الله من بلد إلى بلد، ويسوقه رب العالمين إلى البلد الميت، وتنزل من السحب الثقيلة في المنخفض الجوي أمطار الرحمة بمشيئة الله، وتتحكم الأمـطار في النبات بمختلف أنواعه، تخرج الثمرات المختلفة نوعاً وطعمـاً ومـذاقاً وشكلاً ولوناً وفائدةً ونفعاً ورائحةً وشذىً **﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾** فأحياها بعـد ركود، وأنشأها بعد اختفاء كذلك يحيى الله الإنسان ويميت

لإنسان . . حياة وموت . . ثم بعد ذلك حياة أبدية سرمدية كذلك نخرج الموتى . .

فيا أخي المشاهد . . .

تذكر عظمة الله في تصريف الرياح، وسوق السحاب، وانزال المطر، وإنبات النبات، واعمل على شكر الله والإحسان قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

قال تعالى :

﴿ . . وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام آية ٥٩].

يا أيها الإنسان الواجف الخائف أن يُنقص رزق الله . . .

يا أيها العلماء الذين يحسبون ويقدرون، ويظنون أن العالم سيموت جوعاً . . .

يا من تقولون : إن سكان الأرض سيصبحون في نهاية هذا القرن ستة مليارات من البشر، لا يجدون مأكلاً وإن وجدوا المأوى والمسكن . . .

لا تخافوا . . عند الله مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . عنده الخيرات التي لا تنفد من الأرض . .

إن بعض العلماء يقولون في إحصائية لهم : إن الكوكب الذي خلقنا الله فيه والكون المحيط به قادر بإذن الله على أن يمد أضعاف سكان الأرض من الإنسان والنبات والحيوان، أن يمدهم بالغذاء والكساء والرزق . . .

فإذا أخذنا طاقة الشمس نجد أن النباتات تمتص ٥٥٪ من الطاقة الساقطة عليها، وتعكس منها حوالي ٢٧,٥٪ وينفذ خلالها ١٧,٥٪ من هذه الطاقة، ومن كل هذه الطاقة الممتصة الهائلة لا يتحول منها إلى شيء مفيد إلا ٢,٢٪ تستهلك في عملية التمثيل الغذائي للنباتات الخضراء بينما يستهلك الباقي في تبخير الماء، ومن الحساب السابق يتبين أن حوالي ٣١,. من الواحد من المائة فقط من طاقة الشمس البالغة ٦٣٨ مليار كيلوات/ساعة التي تصل إلى سطح الأرض هو الذي تمتصه النباتات الخضراء منه ٢٠٪ فقط تمتصه نباتات اليابس والثمانين في المائة الباقية تمصها نباتات الماء في المحيطات والبحار.

وعلى هذا فإن مقدار طاقة الشمس التي يمتصها السطح اليابس من الأرض ممكن أن يوفر غذاءً لحوالي ٥٠ ألف مليون نسمة من البشر، ٥٠ ألف مليون نسمة من البشر أي ٥٠ بليون من البشر أي بمضاعفة ثماني مرات قُدِّر أنه سيصل إليه عدد البشر سنة ٢٠٠٠ ميلادية، وهذا من سطح الأرض فقط. أما إذا أخذنا بعين الاعتبار الطاقة التي تأخذها مصادر الغذاء في المحيطات والبحار نجد أن العدد سيصل إلى اطعام (٢٩٠) بليون من البشر...

سبحان الخالق الرازق المنعم المتفضل وعنده مفاتيح الغيب.. عنده مقادير الأرض ﴿**وقدّر فيها أقواتها**﴾، وهو الذي يعلم كل ورقة تسقط، كل حبة في ظلمات الأرض، كل ذرة من ذرات المحيط، كل سمكة في البحر ودابة في الأرض...

آمنوا أيها الناس بقدرة الخالق ولا تخافوا أن تموتوا جوعاً، ان الحياة أرحب مما يظنون.. وان الله أكرم مما تعتقدون..

قال تعالى :

﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾ [الحديد: ٤].

سبحان الخالق العظيم . . .
سبحان القادر المهيمن . .
سبحانك يا الله . . .

خلقت الكون كلّه، وخلقت الأرض، وعلى صغرها في الكون جعلتها مهاداً وبثثت فيها من كل الخيرات، وأفضت فيها من النعم والأرزاق ما يكفي البشرية، وسخرت للناس الشمس والقمر والنجوم حتى تصبح الأرض صالحة لحياة الإنسان وسائر المخلوقات فيها. . لتكون الحياة هنية رخية ميسرة للسير في مناكبها واستخراج كنوزها، أنت تعلم يا الله. ما يلج في الأرض. . ما يدخل إليها من خيرات السماء من قطرات الماء. . من مصادر الطاقة المخزونة فيها وما يدخل إليها مع الهواء وما فيه من تركيبات. . .

وأنت تعلم ما يخرج منها من باطنها من مخزونات الطاقة الحرارية. . من البترول ومشتقاته، من المعادن والأملاح. . من الصخور والأتربة، من الجواهر واللألىء لقد اتجه الإنسان إلى التنقيب عن مصادر الطاقة الكامنة في باطن الأرض والتي لا تظهر إلا بالتنقيب من الفحم والبترول والغازات. . .

وإذا علمت أيها الإنسان أن هذه الموارد تتكون من غلاف مائي ساخن ببطن الأرض تزداد درجة حرارته مع العمق ويبلغ في مجموعه ما يقدر بحوالي (٧٠٠ مليون) كيلو متراً مكعباً أي ما يوازي تقريباً نصف حجم المحيطات والبحار في العالم

وهي موجودة في المناطق البركانية والمناطق المنبسطة الهادئة على حد سواء، وإن احتياطي الطاقة يقدر في المناطق البركانية بقوى (٥٠٠ مليون كيلوات) لا يستخدم منها حتى الآن سوى جزء من ألف جزء أي يبقى ٩٩٩ جزءاً في باطن الأرض، وأن المياه الساخنة التي تتراوح بين سبعة وعشرة كيلو مترات تحت سطح الأرض لم يستخدمها الإنسان بعد.. فكيف بما يظهر على سطح الأرض من نباتات وأبخرة وأكسجين وغيرها.. لم يستخدم الإنسان منها إلا جزءاً قليلاً...

فمن هنا ندرك العظمة التي سبق أن أشار إليها القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام ﴿**يعلم ما يلجُ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم**﴾.

فلماذا تخاف يا أخي الإنسان على هذه البشرية أن تفنى الطاقة فيها، أن تذهب خيرات الأرض.. والله قدر فيها أقواتها.. وخلق لك ما يكفيك.. ففكر في عبادته.. فكر في الاعتماد عليه، توكل على ربك وصل نفسك به واطمئن.. ﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾.. لا تجر مع العلماء الذين لا يصلون علمهم بالله الخالق العظيم وتأمل في قوله سبحانه ﴿**وهو معكم أين ما كنتم**﴾.

﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**﴾، يا حبذا لو أُنفقت ملايين الدنانير والدولارات على رفاه الإنسان وخير الإنسان بدل الحروب وأدوات الحروب واستعمار الشعوب.. إذن لسعدت البشرية بما فيها من طاقات وخيرات.. ولعاش الناس في سلام ووئام..

قال سبحانه :

﴿**وكأيّن من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم معرضون**﴾ [يوسف : ١٠٥].

يا الله . . ما أكثر آيات الله . . هل أتيح لك يا أخي فرصة أن تشاهد ظاهرة من ظواهر الكون تشدك إلى الإيمان بالله . . .

إن تقف على أطراف الثلوج الممتدة في أعماق سيبريا . . أو البياض الممتد في أعماق القطبين الشمالي والجنوبي . .

شاهدت السماء وقد غشاها ما غشى ، من ضياء أخاذ متلألىء ينعكس على البياض الصافي في الثلوج الممتدة ينتهي النظر ولا تنتهي ، ويرتد إليك البصر خاسئاً وهو حسير . .

قيل لي . . هذا هو الفجر القطبي أو قريب منه . . فكثيراً ما يرى على هيئة قوس عظيم من الضياء يتذبذب في بطء وقد تتعدد الأقواس مرسلة أنواراً كاشفة . . وقد تظهر الأنوار ضياءً كالستائر الملفوفة التي تترنح في مهب الريح تتغير ألوانها وأشكالها . . . كأنوار المسارح حين تتبدل على أجساد الممثلين . .

الشمس هذه تطلق أكداساً من الكهارب التي تعبر مجموعات الفضاء الكوني ، تقطع مئات الأميال في ثواني ، وتقترب من الأرض ولكنها تتدلى فوق أراضي الثلوج كأنها أغصان الأشجار تبترد في حوافي الأنهار . . .

إنها آية من آيات الله . . لم تصنعها يد إنسان . . ولكنها تضع الإنسان أمام حقيقة الله . . فيؤمن ويعتبر ولا يعرض ، لعله بذلك يكون الإنسان النافع في مجتمع

هو أحوج ما يكون إلى متدبر لعظمة الله، ليكون عظيماً في أخلاقه عند بني الإنسان. . .

فكن ذلك يا أخي المشاهد وأنت في أوائل الليل تريد أن تسلم نفسك للنوم بين يدي الله. .

والنوم آية من آيات الله، تشدك مرّة أخرى إلى الإيمان والإحسان.

يقول الله تعالى:

﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون. وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾ [سورة يس: ٧١-٧٣].

ما أكثر مخلوقات الله...

وما أكثر ما ينتفع الإنسان بهذه المخلوقات...

حتى الحيوانات المفترسة تفيد الإنسان.. والحيوانات السامة تنفع بسمومها وجلودها هذا الإنسان.

من هذه المخلوقات الأنعام التي نملكها ونأكل لحومها، ونركب ظهورها، وننتفع بألبانها وما يستنبط منها.

أفلا يرى الإنسان عظمة الخالق في خلق هذه الأنعام؟

جسم الإنسان ضعيف...

وعقله قوي نفاذ....

وحجمه الضعيف يحتاج إلى من يساعده على تحمل أعباء الحياة... ويحتاج إلى أغذية تقوي هذا الجسم الضعيف...

والأنعام تحمله إلى بلد بعيد لم يكن ليبلغه إلّا بشق الأنفس، وما زالت الأنعام أداة للركوب حتى مع اختراع الطائرة والسيارة والصاروخ ومركبات الفضاء وسفن الذرة التي استطاع أن يكتشف سرها الذي خلقه الله بعقله النفاذ... **﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾**.

والأنعام تمد هذا الإنسان بالبروتينات من الأنسجة الحيوانية... هي تأخذ من

النباتات وتعطيها للإنسان والبقر والأغنام والدواجن على وجه الخصوص، تغذي الإنسان بما يحتويه الدم والبيض والكبد واللحم والخلايا واللبن والسمن والزبدة وغيرها، وهي بالإضافة إلى تقوية الجسم تعين على مقاومة التأثير السام لبعض الأملاح كفائدة زلال البيض، وتمده بالأحماض التي تجعل فيه مناعة المقاومة للحروق والالتهابات **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾**.

أليست هذه نعم من الأنعام يتمتع الإنسان بخيراتها ويلذ له مأكلها في بكوره وغدوته ومقيله ورواحه.. يستمتع بهذه الأنعام...

ألا تستحق الشكر من الإنسان للرحمن، وواجب الشكر أن يطيع الواحد الديان.

فيا أخي الإنسان:

اذكر نعم الله واشكر الله، وأنواع الشكر كثيرة لو تدبرت، عبادة وصدقة وإحسان وكلمة طيبة ومعاشرة حسنة.. وخلق حميد...

قال سبحانه وتعالى :

﴿إنَّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة يقاتلون في سبيلِ الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [سورة التوبة: ١١١].

أخي المشاهد:
ما قيمة هذه الحياة أمام مرضاة الله. . الحياة خلقها الله. .
والإنسان أوجده الله. . .
والأرض يعمرها الإنسان. . .
والصراع بين الحق والباطل مظهر من مظاهر هذه الحياة. .

ولن ينجو إنسان من هذا الصراع. . فالشر والخير في نفسه، والشر والخير بين الناس. . إن تركتهم لم يتركوك، وإن اعتزلتهم لم يعتزلوك، وإن وقفت مع الحق صارعوك بالباطل، وإن مضيت مع الباطل ساعدت الشر على الخير. . فماذا أنت فاعل؟! اجعل مرضاة الله غايتك. . واجعل العمل للحق دَيْدَنك. . . وقدّم مالك ونفسك من أجله، واستهن بهما إذا تعارض انتصارك للحق تكسب آخرتك وتنل من الله الجنة.

بعهما لله، واشتر بهما حياة الأخرى تكسب الحياتين. الدنيا إن عشت سعيداً محموداً. . والأخرى إن استشهدت جنة عند ربك ومقاماً كريماً.

ذلك في دين الله، الإسلام والنصرانية واليهودية. . .
في القرآن والإنجيل والتوراة. .
وقديماً قال أبو بكر: احرص على الموت توهب لك الحياة. .

وليس المقصـود أن تضحي لنفسـك، ولكن لأمتـك، تذهب شهيداً، وتكن تجارتك سعيدة، ذلك وعد الله العزيز الكريم.

يا أخي المشاهد التضحية بيع بثمن، بيع المال والنفس بجنة عرضها السموات والأرض فاستبشر ببيعك الذي بايعت به الله.

قال تعالى:

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الدُّ الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد. ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٨].

لا يغرنّك يا أخي معسول الكلام، وحلو الحديث من شخص تراه فيأسرك بسلاسة كلماته، واسترسال أحاديثه، تراه كأن لسانه ينقط عسلاً، وفمه يخرج لؤلؤاً...

ولا يغرنّك تظاهر التقوى، واسبال العينين، ولين الكلام، وتزيين الصلاة، وإطالة السجود ولكن انظر إلى تعامله مع الناس.. انظر إلى أعماله مع الآخرين.. انظر إلى ما جنت يداه.. هل تراه مصلحاً، هل يفسد إذا حكم؟ هل ينهب إذا ملك المال؟ هل يظلم إذا عامل، هل يفجر في الخصومة، هل يخلف الوعد؟ هل يحابي في المعاملة، هل يرتشي في المال، عظه وانصحه، هل يستمع للنصيحة أم تأخذه العزة بالإثم ويتعالى ويتكبر...؟

وفد على عمر بن عبد العزيز بلال أبي بردة فجعل يصلي ويطيل الصلاة. فقال عمر لبعض أصحابه (العلاء) ترى ذلك تصنعاً؟ فقال العلاء:

أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين.

فأتى إلى دار بلال بين العشاءين فوجده يصلي...

فقال: خفف فإن لي إليك حاجة، فخفف وسلم وقال: ما الحاجة؟

فقال له العلاء: تعرف محلي من أمير المؤمنين فإن أنا أشرت به عليك في ولاية

العراق فما تجعل لي؟

قال: لك عليّ عمالة سنة، وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطاً على نفسه فكتب له، فأتى العلاء بالشرط إلى عمر فلما قرأه قال:

غرّنا بالله فكدنا نغتر، وكنا نظنه ذهباً فلما سبكناه وجدناه خبثاً...

فاحذر يا أخي أن تكون ممن يقول حلو الكلام ويفعل قبيح الفعل، وليكن عملك كقولك، وظاهرك كباطنك. ويدك نظيفة كلسانك.. استقبل ليلك بالنية الصالحة وكن ممن قال الله فيهم: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد**﴾.

قال سبحانه:

﴿واصبر وما صبرك إلّا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون. إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٧].

يا أخي المشاهد:

الحياة شاقة متعبة، لا ينال الإنسان فيها رزقه إلا بالنصب والتعب.

والناس يتنافسون في هذه الحياة، كل يبغي أن يحصل على أكثر ما يستطيع من الرزق والجاه والمنصب، وكل يعمل جاهداً لأن يفوز بأكثر مما يستطيع، وأن يكسب أكثر مما يحتاج.

والتنافس يحتاج المرء فيه إلى عزيمة وقوة جنان، وصبر على المشاق... والإنسان الصادق المؤمن لا يسكت على الشر ويعمل للخير، ويسعى للإصلاح، ويدعو إلى الصدق في المعاملة، والإحسان في الأداء، والشرف في التنافس.. ولكنه يصطدم بحقيقة أزلية:

عداوة بعض الناس للخير، وسعيهم للشر، وكيدهم للمخلص، ومكرهم بالمتقن، وصدهم عن سبيل الخير، فلا يحزن الصادق المؤمن مما يلقى، بل يستعين بالله ويصبر، ولا يحقد على الماكرين بل يكون شفيقاً بهم رؤوفاً عليهم. ولا يضق ذرعاً بما يلقى منهم، فليصبر لعلهم يرجعون ويهتدون، وليدفع السوء بالحسنى، والسيئة بالحسنة، فالمكر لا يحيق إلا بأهله، والله يدافع عن الذين آمنوا، بيده تقليب القلوب، وبيده تحريك الموازين، قال سبحانه: **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾**، والصبر دائماً مفتاح الفرج.

فاصبر حتى في مواطن الشدّة فالنصر مع الصبر، والصبر عاقبته الخير. . اصبر يا أخي ، وأنت تودع يومك لتسلم نفسك إلى الله ، واصبري يا أختاه في حياتك لأسرتك وعملك وزوجك وأولادك .

اصبرا فلعلكما حينما تصبحان تقبلان على الحياة بعزم شديد ، وأمل جديد ﴿إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ .

قال تعالى :

﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ [سورة النمل : ٦٢].

حينما تضل الحقيقة في مسارب النفس، وتتكاثف الظلمات في طريق الإنسان، وحينما يتلفت الملهوف في الضائقة المكربة التي حاقت به والمصيبة التي نزلت به، أو المأزق الذي وقع فيه، يتطلع في لهفة نحو المجهول من العالم الخفي، يتلمس العون، ويستجدي المساعدة، هاتفاً سراً وعلانية : من المعين؟

ويأتيهِ الجواب حفياً به، همساتٍ تنطلق من شفتيه، أو كلمات تنسرب من أعماق قلبه في خشية ولهفة وتطلع : يا الله يا الله!!

وعندما ينقطع الرزق أو يشح، ويتضور الصغار جوعاً ولا يجدون ما يسد رمقهم، وتتلوى المعدة ولا تجد ما يشبعها، ويبحث الإنسان عن الطعام فلا يجده، وتنقطع ينابيع الرحمة من قلوب الأغنياء فلا يجودون، يتلفت البائس مستجيراً متطلعاً إلى السماء، قائلاً في ضراعة وألم : يا ألله يا ألله...

وعندما يكون الإنسان بين السماء والأرض، ممتطياً متن الطائرة، تسير به خيلاء في الهواء، مطمئناً إلى سيرها، واثقاً بوصولها، متطلعاً من أعالي الجو إلى أدنى الأرض، يرى من المساحات ما لا يراه فيها، ويبصر من جمال الأرض وخضرتها وأنهارها وجبالها ووديانها مالا يبصره إلا من الجو... كأنه في شرفة من شرفات الدار.. إذا بالجو يضطرب والطائرة تتأرجح والربان ينذر بالخطر فتلجم الألسن، وتجمد القلوب وتصفر الوجوه، وتنطلق التمتمات من أفواه المسافرين لاجئة إلى الذي يلجأ إليه وحده إلى الله داعية : يا الله يا الله...

وإذا ركب البحر فسارت به السفينة رخاء، سواء أكانت سفينة شراعية أو بخارية

أو تسير بقوة الذرة، واطمأن الإنسان إلى جمال المجرى وليونة المسير. . ثم يثور البحر، وتتقذف كتل الماء أمواجاً كالجبال، ويصبح تهادي السفينة انخفاضاً وعلواً، وتنسحق من أعلى الأمواج إلى فكين من الموت، وتنخلع القلوب، وتهلع النفس وتصيح قائلة: يا الله يا الله . . .

يا الله كلمة تنطلق بها حناجرنا، وتهتف بها قلوبنا، أن ليس لنا ملجأ إلاّ الله فالجأوا إليه وادعوه مخلصين له الدين وصدق الله. ﴿**أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**﴾ وصدق الله. ﴿**هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين**﴾ [يونس: ٢٢].

فلا تكن يا أخي جاحداً نعمة الله لا تلجأ إليه إلا في الشدة، فالجأ إليه في الرخاء ولا تكن كما قال الله تعالى:

﴿**فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنت تعملون**﴾ [يونس: ٢٣].

قال الله تعالى :

﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريدُ زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**﴾ صدق الله العظيم [الكهف : ٢٩] .

الإنسان لا يعيش وحده . . .
ولا يصبر على العيش وحده . . .
ولا تتم معيشته إذا عاش وحده . . .

هو مدني بطبعه ، يحتاج إلى من يعاشره ويخالطه ، ويفضي إليه بسره ، ويعاونه في حياته . . الإنسان وحده لا يخبز خبزه ويطحن قمحه ويزرع نبته ، ويقطف ثمر شجره ويعزق أرضه ، ويصنع ملابسه وأدوات حياته ، هو مع الآخرين . . وكذلك اليد الواحدة تحتاج إلى أختها ، والإنسان يحتاج إلى صديق يأنس له ويخالطه ويشاوره ، ويساعده في حاجته ، ويفيد منه ويستفيد .

والدنيا مليئة بالأخيار والأشرار ، وصديق الخير يدلك على الخير ويعينك عليه ، وتسمو به نفسك ، ويرقى به مجتمعه ، ويحول بينك وبين الشر ، ويجعل حياتك هادئة مطمئنة ، وصديق الشر ـ والعياذ بالله ـ غل وسوء ، ودليل هلاك وضياع وفساد ، فليتخذ الإنسان أصدقاء من الأخيار وليبتعد عن الأشرار .

وما صفة الأخيار:

الأتقياء الذين يخافون الله ، ذوو الضمائر الحية الذين يعبدون الله ، والأنقياء ذوو القلوب الصافية والنفوس العالية ، لا يحسدون ولا يبخلون ، عقولهم راجحة وأعمالهم خيرة ، وأخلاقهم نبيلة ، يبتعدون عن الغش والخداع والكذب والنفاق .

فهؤلاء المعـاونون المساعدون الأصدقاء الخلص، أما الغافلون اللاهون فلا ينالك منهم إلا السوء.

قال عليه الصلاة والسلام: «مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك منه ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه»، الأصدقاء المخلصون هم زينة الإخوان.. فاحرص يا أخي المشاهد على أن تكون التقوى حليفك والبرّ صديقك.

قال تعالى :

﴿والسمـاء بنيناها بأيد وإنا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين . ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين﴾ [الذاريات : ٤٧-٥١].

أرأيتَ يا إنسان عظمة الكون . . .

أرأيت سعة السماء وكثرة النجوم . . وأبعاد النجوم ، ومواقع الكواكب في الفضاء الفسيح . . .

تذرعه ملايين السنين فلا تصل إلى منتهاه ، ولا تعرف مبتداه . . وتسير فيه ملايين الملايين من الأيام ولا تدرك أين تسير . . . نجوم أكبر من الشمس . . ونجوم أكبر من النجوم . . بينك وبين بعضها سبعمائة مليون عام من سنين الضوء لا من سنين الليل والنهار، إن لم يكن بلايين السنين .

﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾

فيها سعة وعظمة من روائع المجرات إلى ودائع الذرات . . تصغر الأرض معها فهي ذرة من الذرات . . .

ولكن هذه الأرض على صغـرهـا أمـام الكون الواسع فيها عظمة وشاهد غير مكـذوب على عظمـة الله ، فليست العـظمـة في السعـة وحدها . . ولكن العظمة قد تكون في خلق دقائق الأشياء . . .

الأرض مهدها لك رب العالمين وهي مستديرة كروية فكيف تمشي بها . . كيف تبقى بحارها . . كيف تبقى جبالها . . لم لا تنقلب البحار وتنهد الجبال . . أليست عظمة الخالق في مهدها لك وجعلها صالحة للحياة . . . ينبت النبات وينزل المطر

وتسير فيها شرقاً وغرباً . . وفيها من كل الخيرات زوجان حسناوان. **تلاقح الحيوان** والنبـات. . تلاقـح السحب والـذرات. . خيرات تمتلىء بهـا الأرض وينعم بهـا الإنسان. . فهل تتذكر. .

هل تفر إلى الله **﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ لا** ترحل في الكون من كون إلى كون. . بل تنقل في النظر في الكون حتى تصل إلى المكوّن الأكبر. . إلى الله **﴿وان إلى ربك المنتهى﴾**، **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء تود لو أن بينهـا وبينـه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾** [آل عمران: ٣٠].

قال تعالى:

﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً**﴾ [النساء: ٣٦].

أخي المشاهد:

فكرت طويلاً في هذه الآية.. وفكرت أكثر في أن أذكر بها المشاهد وهو مقبل على النوم، مجهد الجسم، مثقل الفكر، يريد أن يهدأ بتسليم نفسه إلى الله...

ولكنني قلت لنفسي أفلا يحسن أن أذكر الإنسان ـ وهو يحاسب نفسه ـ بما يجب عليه أن يعدّ نفسه لغده، بأن يخلص العبادة لله واعبد الله مخلصاً لا رياء ولا نفاق ولا تجارة، تنعكس هذه العبادة الحقة الخالصة على تصرفاته وحركاته وسكناته وأقواله، ﴿**مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾.

والإخلاص لله في العبادة حمد وشكر له على نعمة الحياة... وحمد الله على نعمة الحياة تقتضي الإحسان إلى الوالدين براً بهما وشكراً لهما فهما سبب نعمة الحياة ﴿**وبالوالدين إحساناً**﴾.

وشكر الله يقتضي القيام بالواجب نحو الناس الآخرين والإحسان إليهم. أليست صلة الرحم واجبة ﴿**واتقوا الله الذين تساءلون به والأرحام**﴾، وهم ذوو قربى الإنسان: من أحسن إليهم أحسن الله إليه، ومن برّهم بره الله عزّ وجلّ...

والأيتام الذين فقدوا آباءهم، الإحسان إليهم من عبادة الله عزّ وجلّ، فقراء كانوا أو أغنياء، بالمال، وبالإنفاق عليهم، وبالكلمة الطيبة، بالرعاية الحسنة، بالملاجىء

تؤويهم، بالأسرة ترعاهم . .

والمساكين المعدمون المحتاجون، يعطون المال للحياة، يعطون الرحمة للسكينة، يشعرون بإنسانيتهم وحقهم في الحياة.

والجار وما أدراك ما الجار الذي وصى الله به، وحث على عدم إيذائه، الجار القريب الملاصق لك . . هل أديت حقه وأحسنت إليه؟ . .

والصحبة يسأل عنها الله الإنسان . . هل أحسنت الصحبة، هل وفيت للصديق، هل أعنته في فقره، هل عدته في مرضه، هل ساعدته برأيك ومشورتك؟

يا أخي المشاهد . . .

ومن انقطعت به الطريق، أو ما ملكت من عبد وخادم . . تذكر أن الإحسان إليهم من عبادة الله . . .

فهيىء نفسك لغد، وحاسب نفسك اليوم لتنام قرير العين، مؤملا في الغد أن تكون أحسن من يومك.

ولا تزده، ولا تختلْ، ولا تمشِ في الأرض مرحاً بما تفعل من خير، ولا تنافق وتفاخر بل اجعله خالصاً لوجه الله الكريم.

قال سبحانه :

﴿**سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوىٰ والذي قدَّر فهدىٰ**﴾ [سورة الأعلى : ١-٣].

أرأيت إلى نفسك ـ يا أخي المشاهد ـ خلقك الله خلقاً سوياً متكاملاً، متعاوناً إرادياً أو غير إرادي .

من أصغر عضلة فيك إلى أكبر قطعة منك . . كلها تتحرك في نظام بديع متناسق، لا تتخلف ولا تتراجع . . إلا إذا أصابها وهن أو مرض بفعل الإنسان حين لا يبالي بصحته وجسده . . .

رأسه يحوي الدماغ الذي يسير جسمه ويصدر أوامره وأحكامه إلى جميع أعضاء الجسم بشكل منتظم رائع، لا تسيطر عليه إرادة الإنسان في معظم الأحيان من خلال الخلايا العصبية الممتدة في جميع أنحاء الجسم .

والدماغ، ذلك المجهول الغامض وهو الفكر المسيّر المتصل بالورح، فيه ملياران من الخلايا، تعمل جميعها في حركة خفية دائبة شاملة . . .

يقول العلماء : إذا أراد الدماغ أن يصدر أمراً بأخذ دبوس مثلاً : فإنه لا يحرك اليد وحدها بل يصدر أمره إلى العينين والرأس والرقبة والكتفين والساقين والقدمين ثم يحرك بعد ذلك الذراع واليد والأصابع . .ثم ينسق مع المخيخ الذي تصل إليه الأوامر فيدرسها في عشر الثانية ثم يبعث باستشارته في شكل أوامر لايقاف ما يتم من أجزاء الفعل خطأً حيث يبعث إلى المراكز المسئولة عن الفعل لتقوم بتعديل أوامرها إلى العضلات بما يتفق مع الحركة في وضعها الصحيح . .

والدماغ ليس حاكماً مستبداً بل يشاور مراكزه ويستدعي خبراتها، كل حسب

اختصاصه، ثم يختار العضلات التي سيؤدي تقلصها إلى الحركة المطلوبة، ثم يصدر لكل منها الأمر بأن تتقلص باتجاه معين ودرجة معينة، ويحدث ذلك كله في جزء من الثانية في سرعة لا يحس معها الإنسان بأي تعقيد. .

هذه واحدة من ملايين الخلق السويّ. . .

العينان مثلاً فيهما أنبوب دقيق جداً هو شعرة من الشعيرات الكثيرة فيها خمسمائة سلك دقيق في هذه الشعيرة وإذا علمت أن عدد الشعيرات التي تتلقى الاشعاعات الضوئية يبلغ تسعمائة (٩٠٠) ألف خيط مكونة للعصب البصري الذي يميز الألوان، ويحدد مقادير الإنارة، علمت كم في الإنسان الذي خلقه الله من سواء الخلقة وإبداع الخلق. .

خلق فسوّىٰ. .

افتدرك يا أخي المشاهد عظمة الخالق. . وأنت لم تخلق نفسك، ، ولم تبدع خلقها. . فازدد إيماناً بربك العظيم. . . وأقبل عليه بصفاء وتسليم، واذكر ربك في العشي والإبكار.

قال سبحانه:

﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه، أنَّا صببنا الماء صبّاً، ثم شققنا الأرض شقاً، فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلاً، وحدائق غلباً، وفاكهة وأبّاً، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ [سورة عبس ٢٤-٣٢].

يا لله.. ما أروع وأبدع...

تهيئة الطعام للإنسان... والأنعام... هذا الطعام الذي تأكله.. كيف وصل إليك... ثم كيف تهضمه وتستفيد منه...

دعني أيها المشاهد أعطك فكرة عن طعامك..
ينزل المطر غزيراً..
تلقاه الأرض العطشى...

يشق تربتها ـ يخالط ترابها.. يجري فيها ينابيع، وخزانات.. وتحتفظ التربة بما يسمى «بالربة» التراب المحتفظ بالماء...

وتنبت البذرة نباتاً طيباً ذا بهجة، مختلفة ألوانه، متعددة أنواعه، متنوعة ثماره...

منها الحب.. القمح والذرة والشعير والعدس والفول وغيرها.. منها شجر العنب.. بكل ما في العنب من سكر ومذاق.. ومنها القضب وهو البقول المختلفة ومنها الزيتون الشجرة المباركة ذات الزيت الطيب المفيد.. ومنها النخلة، الشجرة الباسقة التي تخرج البلح والثمر وهو من أعظم الأغذية المفيدة نوعاً... ثم الأشجار التي تنبت الفواكه المتعددة والثمار المختلفة، ذات المذاقات والألوان والأشكال والأحجام.. في كل نبتة ما يناسبها، وفي كل بلد أنواع.. وتشكل بأشجارها

الخضـراء.. الحـدائق المنتشرة على سطح هذه الأرض، بهجة للناظرين، وفتنة للعيون، وغذاء للأنفس.. تمتد من حولها المراعي، وعلى حوافيها الأعشاب...

كل هذا لك أيها الإنسان...

﴿أفـرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. أفرأيتم الماء الـــذي تشربون. أأنتم أنزلتموهُ من المزن أم نحن المنزلون﴾...

الله الذي أنعم عليك أيها الإنسان بهذه النعم لتكوّن طعامك، تطحن الحب وتأكل الفاكهة وتطبخ النبات.. متاعاً لك.. وطعاماً لأنعامك التي هيئت لك لتحيا حياة مغذاة...

أفلا تشكر الله..

أفلا تحمد ربك..

يا أخي في أول ليلك وأنت تضع رأسك على وسادة النوم.. تذكر كيف هيأ الله لك الطعام... فكن معه في كل أحوالك لتسعد ويسعد أخوك الإنسان..

قال تعالى :

﴿أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، أإله مع الله بل هم قوم يعدلون. أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [سورة النمل: ٦٠-٦١].

يا سعة الكون التي لا يحاط بها...

يا نجوماً تملأ الفضاء، وترسل الأنوار...

يا فضاء ما كنا ندرك عمقه ولا بعده إلا يوم أعطينا من العلم ما عرفنا به سعة الكون وبعد النجوم، وصغر الأرض والشمس أمام هذه النجوم..

يا أرضاً نأخذ من كنوزها، وننزل إلى أعماقها، ونذرع فضاءها، ونستخرج من موادها كل يوم مخترعاً جديداً، وآلة جديدة، وبدائع من العلم، وكنوزاً من المعرفة.. ونحن ما زلنا في الأرض كوكباً صغيراً لا يساوي في فضاء الله رأس الدبوس، أو نقطة في المحيط..

يا سماء تتسلل منها أشعة الشمس المحرقة الساطعة ثم تتلبد بالغيوم فتحجب الشمس ويهطل المطر وتهتز الأرض وتربو بالخير وينبت النبات فإذا الأشجار تنبسق، وإذا النباتات تزهر، وإذا الأرض حديقة ذات بهجة ورونق، أو بستان ذو زرع وثمر..

يا أرضاً كل ما فيها عظيم، وكل ما عليها مبدع.. خُلقت مستقراً وهي كرة دائرة، ووجدت منبسطة وهي تدور، واعتلت ظهرها جبال يرتد البصر حاسراً وهو ينظر إلى قممها، وجرى خلالها وديان تسيل بها الأنهار فتملأ الوادي خصباً وخيراً وخضرة تستريح بها العين وهي تحيط بلألاء الخضرة الممتدة يتلوى بينها الماء كأنه العِقْدُ الفضي على صفحة السماء..

يا أرضاً انفسح على سطحها مياه ذات عمق تحوي في جوفها مخلوقات لا تحصى.. وتتصل بالأنهار حلوة الماء فلا يختلط الحلو بالمالح ولا المرّ بالحلو، ويحتفظ كل منهما بصفاته ﴿**مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**﴾.

أليس هذا دليل وجود الله وعظمة الخالق..
فلم تعدل يا أيها الإنسان مع الله شركاء..
ولم لا تتقي الله وتفعل الخير...

ضع يا أخي المشاهد رأسك على وسادتك وانوِ أن تصدق مع الله فتقلع عن الشرك والذنب، وتكون مع الناس كما تريد أن يكون معك الناس خيراً ومحبة وإنسانية وصفاء..

قال سبحانه:

﴿**الله الـذي جعـل لكم الأرض قراراً والسمـاء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبـات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين**﴾[المؤمن: ٦٩].

يا أخي المشاهد:

بسم الله أدعوك للتأمل الواعي في الأرض التي تحيا عليها.. من جعلها مستقرة يطمئن الإنسان فيها سيراً وسفراً وطيراناً، بينما هي تدور في سرعة هائلة حول نفسها، وتـدور حول الشمس..! من جعلهـا قراراً تستقـر المخلوقات عليها..! يقول عزّ وجـل: ﴿**أمن جعـل الأرض قراراً؟**﴾ ويأتي الجواب في قوله سبحانه: ﴿**الله الذي جعل الأرض قراراً**﴾ والقرار يأتي من كونها غير تامة التدوير، فهي كمثرية الشكل.. يزيد قطرها عند خط الاستواء على قطرها الواصل بين القطبين واحداً وعشرين (٢١) كيلو متـراً.. ويزيد هذا التباعد على مرّ السنين ببطء شديد جداً.. ويأتي من هذه الجبـال الرواسي ﴿**وألقينا فيها رواسي**﴾.. ويأتي من الغـلاف الجوي وهو المواد الغازية التي تحيط بالأرض، ومن الغلاف المائي الذي يوجد على سطح الأرض في المحيطات والأنهـار ويتخلل فجـواتها وقنواتها قال سبحانه ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الأرض**﴾، ويأتي من القشرة اليابسة التي تمسك تشقق الأرض، وتغـطي الجبـال وقـاع البحـار في تضـاريس مختلفـة.. فانـظر إلى عظمـة الله سبحـانه... هذه في مجموعها ليست في حجمها بأكثر من تضاريس قشرة برتقالة واحدة، ويأتي من جوف الأرض أيضاً والعناصر الثقيلة الموجودة فيها...

هذا قرار الأرض.. والسماء فوقنا بناها ربك أيها الإنسان بالمجرات التي تمثل وحـدات الكـون الكبـرى.. وفي كل مجـرة بلايين النجـوم والشمـوس والأقمـار والكـواكب.. في تناسق متماسك بديع.. وقدرة الله جعلت الفضاء الكوني يتسع

لكل المجرات والنجوم ولا يثبت حجمه وهو يتوسع ببطء شديد. . . وإن كان العلماء قد قدّر تزايد الاتساع حتى تصل حدود الكون المرئي على مسافة نحو خمسة آلاف مليون سنة ضوئية. .

ومع ذلك أيها الإنسان أنت أحسن صورة خلقها الله **﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾** ، على صغر حجمك وحجم أرضك التي تعيش عليها. . ولم يذرك بلا زادٍ. . بل رزقك الطيبات، وأخرج لك النبات، ومتعك بالماء والهواء. . فكيف تصرف بصرك عن الحق. . عن عبادته، عن تذكره. . وكيف لا تؤدي شكر النعمة بأن تكون كما صورك، حسن الإيمان والخلق كما أنك حسن الخلقة والتكوين. . .

ذلكم الله رب العالمين. . .

قال تعالى :

﴿قُل يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: ١٠].

أنت الآن في هدأة الليل.. بعد نهار لاغب، وليل ساهر حسبت ما حسبت، وصرفت ما صرفت، وكلمت من كلمت، وتعبت مع من تعبت، وسمعت ما سمعت... أمشاجاً من الأخبار، وألواناً من الناس، ورأيت في عملك أو متجرك أو مدرستك أصنافاً من البشر، واستمعت إلى ألوان من الأحاديث والأخبار..

فماذا كانت حصيلة ذلك كلّه...

أما خيراً كسبته، أو مالاً اقتنيته، أو هماً اجتررته، أو مزعجاً تحملته، أو آلاماً عانيتها..

وكل ذلك من الحياة من مرها وحلوها، خيرها وشرها، والبشر بطبائعهم سليمها وسقيمها، حبيبها وبغيضها...

فماذا أنت فاعل.. هل تتشاءم أو تتفاءل..
هل تنظر للدنيا بمنظار أسود أو بمنظار أبيض..
هل تثور على نفسك أو على من حولك..
أو على البشرية جمعاء.. أم تهدأ نفسك حين تعلم أن البشر كذلك، وفاء وخيانة، ومحبة وحقد، وكراهية وصفاء، وثبات وتقلب.. ولك أن تبقى أو أن تفارق ولا تملك الفراق كما يقول أبو العلاء المعرّي :

هذي طباع الناس معروضة فخالطوا العالم أو فارقوا

وإن الحياة متاعب وهموم.. وشقاء وتعب.. يتخللها فترات من الحياة يُسَرُّ بها

المرء، وتستريح نفسه، وإن كانت المتاعب أكثر. . والنصب أشمل. .

فهل تستطيع يا أخي تغيير الحياة. . تغيير الناس. . تغيير الطباع. . حاول الأنبياء الإصلاح فأصلحوا فترة من الزمن ثم عاد الناس حتى في ظل الأديان إلى الخصام والنزاع. . وحاول المصلحون أن يصلحوا فأصلحوا جانباً من الناس وجانباً من الحياة. . . **﴿وما تفرقوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمىً لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾**[الشورى: ١٤].

فلماذا إذن لا تأخذ الحياة كما هي وتستريح. . وتأخذ الناس كما هم وتريح. . .

اعطهم منك تفاؤلاً ومحبة وصفاءً ونقاء وستجد أن الناس على الأكثر يعطونك كذلك. . محبة ونقاء. .

وقابل الحياة بالتفاؤل. . تتغلب على همومها وشقائها. . . **﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾** [الشورى: ٢٨].

ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون. . . قال سبحانته **﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسّه الشر فيئوس قنوط﴾**.

وإن رحمة ربك أيها الإنسان قريبة منك وإن التفاؤل يعين على مقابلة الشدائد. . النبي ﷺ يسمع يوم الهجرة صاحب الدار التي نزل بها ينادي أولاده يا يسار ويا سلمان. . فقال: سلمت لنا الدار في يسر. .

وكان عليه السلام يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

قال تعالى :

﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تذكرون﴾ [المؤمن : ٥٧ـ٥٨].

من أساطير الإغريق : أن الأرض تسير كالسفينة أما النجوم فهي فوانيس محمولة في كبد السماء. . والشمس تختبىء كل يوم وراء جبل يحيط بالأرض. . وما عدا ذلك فاقيانوس كبير أي محيطات من الماء والفضاء كبيرة جداً. . .

السموات واسعة كبيرة. . لنجومها مواقع تتباعد مسافاتها في ملايين السنين الضوئية. . بعض هذه النجوم لم يصل ضوؤه إلينا بعد. . خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس. . ارسل الإنسان مركبة فضائية لها سنين وهي لم تخرج بعد من حدود المجموعة الشمسية التي تشكل نقطة بسيطة على حافة نهر المجرة (باب التبانة) التي تعد واحدة من مائة مليون مجرة. . والأرض نفسها. . ماذا اكتشف فيها الإنسان. . لم يعلم منها إلا ظاهرها وما زال باطن الأرض مجهولاً يحتاج إلى مئات السنين. . فأين علمك أيها الإنسان من سعة هذا الكون.

ومع هذا فالله يأخذ بيدك إلى الاستبصار. . والنظر. . وعمق التفكير. . هل يستوي الأعمى والبصير. . وبالتالي هل يتساوى المؤمن الذي يعمل الصالحات لنفسه وأسرته وأمته والإنسانية. . مع الذي يسىء إليها. . . لا يستويان. . فتذكر أيها الإنسان. . .

تذكر إنك في سفينة الأرض تمخر عباب الكون الفسيح. . وأن الله جعل لك النجوم مصابيح تهتدي بها، وتستفيد من أضوائها وما فيها من عناصر تعينك على الحياة.

تذكـر أن النـاس أقل بكثير من سعة الكون . . وإنك واحد من بلايين البشر يجيئـون إلى الأرض . . ثم يذهبـون . . وأنك جئت ثم تذهب . . فاترك بصمات عملك الصالح لمن بعدك واذكر أن الله أقرب إليك من حبل الوريد . . امتعك الله بنوم هادىء عميق . . .

قال تعالى :

﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى، ثم إليه مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعلمون**﴾ [الأنعام : ٦٠].

الليل ـ يا أخي المشاهد سكن للنفس، وراحة للجسم كما قال تعالى : ﴿**هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه**﴾ [يونس : ٦٧] والنهار للعمل والشغل والتعب والنصب وابتغاء الرزق من فضل الله ، ﴿**ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾ [القصص : ٧٣].

وأنت الآن مقبل على النوم لتستريح . . ولكنك لا تستريح حقيقة . . جسمك الظاهري هو الذي يستريح . . ولكن مخك وعينك تعمل وتشتغل لتحافظ على جسمك وتوازنك فقد ثبت بالتجارب أن الطبقة العليا الخارجية للمخ تصدر موجات كهربائية بطيئة أثناء النوم الخفيف وتزداد سرعة أثناء النوم العميق، وإن تحركات سريعة للعين من تحت الجفون المغلقة مرتبطة بهذه الموجات الكهربائية . .

ومن هنا يتبين لك عظمة الخالق في حفظك في منامك من جسمك، من خلق الله فيك . . وهو الذي يتوفاكم بالليل ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾.

فإذا كنت قد أسلمت نفسك للنوم . . . فقد أسلمت نفسك لله ، يحرك دماغك وأعصابك في نشاط مستمر بينما تسترخي أنت نائماً، ليحفظك الله من خمول القلب والدماغ . . وهذا يفسر الأحلام التي تحلمها لذيذة كانت أو مرعبة . . دليل على اليقظة الداخلية فيك . . وكثيراً ما تستعرض في نومك ما قدّمت في نهارك .

كل هذا يا أخي المشاهد لتدرك أنك بكل جسمك وحواسك خاضع لقوة عليا تسيرك، تهتم بك عندما لا تدرك ما يجري فيك في داخل جسدك . .

فهل لك أن ترجع إلى ربك الذي يعلم ما تفعل بالنهار، والذي يتوفاك بالليل، والذي يوجد فيك التوازن عندما تسترخي بجسدك وتنشط أجهزتك العصبية ومراكز مخك، فيحفظ على الكائنات حياتها إلى أجل مسمى لا يعلمه إلا الخالق القادر المسيطر عليك المهيمن . .

هل لك إلى أن تراجع عملك وتحاسب نفسك فتنوي من غدك أن تكون في الخير وللخير ولعمل الخير مع الناس، وتأمل من جديد في قوله تعالى : ﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ [الأنعام : ٦٠].

قال تعالى:

﴿حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾، [فصلت: ١-٥].

أخي المشاهد:

﴿حم﴾:

تنبه أيها المؤمن لما سيذكره الله عزّ وجل.. تنبه إلى كتاب الله القرآن الكريم الذي أنزله للبشرية رحمنٌ رحيمٌ على قلب نبي بالمؤمنين رؤوف رحيم..

كتاب: وأول القرآن: اقرأ ومعجزة القرآن كتاب... والحياة تقوم على قراءة وكتاب.. على فكر ونظر.. انظر إلى الكون كلّه.. إنه كتاب الذين يفكرون في خلق السموات والأرض، ولكن القرآن كتاب متلو، آياته مفصلة، ومعانيه محكمة، وحروفه عربية... وألفاظه واضحة وقراءته سهلة ذات نغم واتساق...

أنزل الله الكتاب المحكم رحمة من رحيم، ونعمة من كريم.. معجزاً بلفظه ومعناه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. لتقرأه أيها المؤمن وتتمعن فيه، ليكون لك بشيراً يدخل البشر على نفسك، والطمأنينة على قلبك، والمحبة في صدرك، والألفة مع أهلك وقومك، والصلاح في عملك، ثم تكون البشرى في نعيم الآخرة.. ونذيراً يحذرك العمل السيء والكلام السيء والحياة الشقية.

فاسمع للتذكير واجعل قلبك مفتوحاً للمحبة، ولا تجعله غلفاً مغلقاً في كِنٍّ.. هذا القلب الصنوبري الأعجوبة، يضخ دم الحياة لك، في عملية دقيقة، لا يكل ولا يمل سنين طوالا.. اجعله يضخ لك الخير..

ولا تغلق سمعك . . أذنك التي جعلها الله قادرة على التقاط الأصوات المختلفة والتكيف مع درجاتها في الضعف والقوة . . أذنك القادرة على استقبال صوت يولد ضغطاً مقداره واحد من الألف من الواحد ملغرام على السنتمتر المربع . . والقادرة على إزاحة غشاء القوقعة بالأذن الداخلية بمقدار جزء من مليار من السنتمتر وهذه المسافة تقل بألف مرة عن قطر أصغر ذرة وهي ذرة الهيدروجين . . أي أن أذنك تستطيع التقاط ذبذبة تقل عن أصغر ذرة بألف مرة . . .

افتغلقها عن سماع كلمات الله والله خلقها لك هكذا . . .

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . . .

ربط الله بين القلب والسمع . . .

يسمع الإنسان القول فيتبع أحسنه، ويعي القلب ما يدخل إليه فيضخ عمل الخير كما يضخ الدم . . .

وليحي الإنسان بهما نيّر الحياة، واعياً على كتاب الله : **﴿قُل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾**.

وفقك الله يا أخي المشاهد للإيمان والخير . . .

قال تعالى :

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

سمعك الذي تسمع به.. بصرك الذي ترى به.. قلبك الذي تفهم به.. مسئول أنت عنهم..

لست أخي المشاهد المستمع، وحدك في الدنيا.. أنت عضو في مجتمع ينبغي أن تسوده المحبة والصدق.. وأن تحفظ به الأعراض والأنفس.. وأن تصان فيه سمعة الناس فلا تدنس..

أولئك الذين يتبعون عورات الناس فيذيعونها ويتكلمون عنها.. ويسيئون إلى الآخرين ويفضحون به ما يجب ستره... مخطئون... وأولئك الذين لا يجدون ما يقولون ويسيئون، يختلقون الأخبار الكاذبة، ويلفقون التهم الباطلة، ويقولون سمعنا كذا وكذا وهم لم يسمعوا.. ورأينا كذا وكذا وهم لم يروا شيئاً...

وعلمنا هذا وذاك.. وهم لم يعلموا شيئاً، إنما يقولون ليقال أنهم يعرفون ويسمعون ويبصرون وهم بهذا يسيئون إلى مجتمعهم وأمتهم...

هم مسئولون عن سمعهم وبصرهم وأفئدتهم.. هم مسئولون عن مجتمعهم، فينبغي أن يحرصوا على أن يقولوا ما سمعوا ولا يتكلموا بكل ما يسمعون وكما قال عليه السلام «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع» فكيف بمن يختلق ويفتري مالم يسمع..

وينبغي على المرء أن يقول ما يبصر.. ويأثم إذا حدث الإنسان بكل ما أبصر فأين ستر العورات وأين قول الكلمة الخيّرة بدل كلمة السوء.. وأين اخفاء العيوب

وكتمان السوء.

فليحفظ الإنسان لسانه من السوء وسمعه من سماع الكذب.. وفؤاده عن اختلاق الأكاذيب والأخبار السيئة ونشر الشائعات وتضليل الناس.

قال تعالى :

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرحْ صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون. وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذّكرون. لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾. [الأنعام: ١٢٥-١٢٧].

أرأيت يا أخي المشاهد إلى السكينة كيف تترشفها النفس برداً وسلاماً، أرأيت إلى الاطمئنان كيف يحلّ في القلب فيشعر صاحبه بالرضا والهدوء . حين تنسجم الفطرة مع العقل، وحين يصل الإنسان إلى قناعة تتصل بالوجدان فيستقر سكينةً ورضاً واطمئناناً.

ولا يتم ذلك إلا حين تستبين له الطريق. . . وتتضح له المعالم فينشرح صدره للإسلام، ويؤمن برب الأنام.

لكن الإنسان حين تضل به السبل، حين يقع في الحيرة فلا يرى حتى في النور، حين يعمى عن الآيات الهادية إلى وجود الله. . ينتابه الضيق ويستبد به الضجر، كأنما هو إنسان يصّعد في العلو فيضيق نفسه، ويضطرب. . كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون.

وفي الآية إشارة إلى ما اكتشفه الإنسان بعد، حين يصعد طيراناً في الجو فيخف الأكسجين ويؤدي به إلى الضيق والتعب والهلاك.

أما الذين تسكن نفوسهم وتطمئن قلوبهم فلهم دار السلام عند ربهم. . لهم النجاة عند الله وهو وليهم يدخلهم بحسن أعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

فيا أيها المستقبل ليله، المودع يومه. . ودع يومك بطاعة الله واستقبل غدك برضوان الله. . .

التسليم على النساء:

قالت أسماء: إن النبي ﷺ مرّ في المسجد وعصبة من النساء قعود، قال بيده إليهن بالسلام. فقال: «إياكن وكفران المنعمين، إياكن وكفران المنعمين»، قالت إحداهن: «نعوذ بالله ـ يا نبي الله ـ من كفران نعم الله»، قال: «بلى: إن إحداكن تطول أيْمَتُها ثم تغضب الغضبة فتقول: والله ما رأيت منه ساعة خيراً قط، فذلك كفران نعم الله. وذلك كفران المنعمين». رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

يا أختي أمران في هذا الحديث: أدلك عليهما:
إن الحياة رخية لا تعقيد فيها...
وإن الدين يسر لا جمود فيه ولا تعقيد...
بعض الناس يتحرج من التسليم على النساء.. لأنهن نساء... إذا كان المرء طاهراً والنساء طاهرات.. والحياة طاهرة فلا جمود ولا تعقيد..

أم هانىء بنت عم رسول الله ﷺ تأتيه في البيت وهو يغتسل فيقول: من.. فتقول أم هانىء فيقول مسلماً «مرحباً» والحسن يقول «كنّ النساء يسلمن على الرجال».

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية تقول: مرّ بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي فسلّم علينا.

والرسول ﷺ يقول جواباً عن سؤال أيُّ الإسلام خير قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

فإذا سلّم الرجل على المرأة بالكلام فلا حرج...
وإذا سلّمت المرأة على الرجل بالسلام فلا حرج..

رسول الله هو القدوة وأصحابه هم الأسوة. . وأمر آخر. . المرأة التي يرزقها الله زوجاً يرعاها ويحنو عليها، ويسعى جاهداً من أجل بناء الأسرة وتأمين حاجاتها. . ويرزقه الله الأولاد والذرية منها. . ويتعب من أجلها، ويسعى ويشقى ليله ونهاره. . والزوجة ترى هذا وترقبه، وتتعب معه وتحيا معه. . فإذا بدا منه ما يغضبها فتغضب الغضبة الواحدة، إذا بها تنسى كل هذه الحياة. . تنسى العشرة الطيبة والحياة الرخية، والتعب والشقاء من أجل الأسرة. . تنسى ما فعله معها من معروف وما أسداه إليها من عمل فتقول: «ما رأيت منك خيراً قط». . هذا كفران بنعم الله وكفران بنعم المنعمين. .

فلا تكوني يا أختي المشاهدة من أولئك الناكرات للمعروف. . المنكرات للنعمة، الناسيات للعشرة. . .

كوني المرأة الصالحة التي تقول كلمة الخير، وتقول الكلمة الحقة ترضى زوجها. . وتحافظ على نقاء أسرتها في الرضا والغضب والعسر واليسر، والله معكِ في الخير وللخير. .

قال ﷺ:

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» رواه مسلم.

أتسمع أخي المشاهد بما يسمى جوامع الكلمة... هذه هي: الكلمات الجامعة للمعاني العظيمة، الكلمات الموجزة ذات الدلالات الكبيرة الرائعة.. في كلمات مختصرة.

أنت من مجتمع.. كل فرد فيه أخ لك، والأخ يحب لأخيه الخير، ويمنع عنه الشر.. لا يظلمه لا بالقول ولا بالفعل، لا في غيبته ولا في حضرته.. ولا يسلمه.. لا يفرط فيه.. لا يتخلى عنه، هو معه متعاون متكافل يعينه إن افتقر، ويساعده إن احتاج، بفكره ويده وماله.. يحارب عدوه ويقاتل من أجله.. ومن دواعي المحبة والمعاونة أن تكون مع أخيك في حاجته تقضيها له.. والله معك في حاجتك ثواباً وأجراً..

والمسلم يسعى إلى أن يدفع الهمّ والغمّ عن أخيه.. فإذا فرّج عن همه ومنع عنه أسبابه ادّخر الله له ذلك يوم القيامة، فرّج عنه كربته يوم لا يعينه إلّا الله...

والمسلم مع أخيه شيء واحد... عليه أن يستره أن بدر منه عيب عليه ولا يفضحه.. أيحب أحدكم أن تشيع مقالة السوء وأن يشهر بالناس..

استر على أخيك ما تجده فيه من عيب، وإن كنت حريصاً على أن يسلم من هذا العيب.. أنصحه بينك وبينه...

ما أروع يا أخي المشاهد أن تتذكر هذه الحكم وأن تدخرها لغدك تعمل بها وتكسب رضا الله ومحبة الناس...

يقول محمد عليه الصلاة والسلام:

«اتّق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الأزار فإن إسبال الإزار من المخيلة ولا يحبها الله.. وإن امرؤ شتمك أو عيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه، ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبّن أحداً». رواه ابن حبان في الصحيح عن جابر بن سليم الهجمي.

كلمات... مضيئات.. خفيفات على القلب تتنزل فيه كأنها قطرات الماء على الأرض العطشى.. أو أشعة النور في غسق الظلام...

اتّق الله.. راقبه وكن معه.. اشعر بوجوده فلا تقدم إلا على خير واعمل مع الناس الخير أي خير. قل أو كثر ولا تستهن بالقليل... ولو أن تفرغ الماء من إنائك ودلوك في إناء غيرك تعينه على استقاء الماء.. وتبسم للحياة.. تبسم في وجه أخيك ولا تكن عابساً متجهماً تدل على ظلام قلبك وسواد نفسك.

الق أخاك وأنت مقبل عليه راغب في لقائه تكسب محبته وتوثق أواصر المودة بين الناس... ودع يا أخي.. عن نفسك الكبر والتعالي.. إن الله يكره المتعالين المتكبرين.. المخيلة الكبر، وإطالة الثوب وإرساله على الأرض كناية عن الاختيال، والتكبر أمر مذموم..

تواضع كما تبسط وجهك **﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾**، وصن لسانك وقابل الإساءة بالإحسان، تكسب مودة الناس.. ولا تلتفت إلى من يشتمك ويسبك ويعيرك بأمر ليس فيك.. دعه ترتدع نفسه.

دعه فلا بد أن يرجع ويتوب . . إذا شتم وسب وعيّر فقد دل على ما في نفسه . . وبقيت أنت كما أنت نقي اللسان مترفع الخلق . . .

يا أخي . . خذ من هذه الكلمات المضيئات كلمات الرسول عليه الصلاة والسلام ما يكون لك خلقاً يرفع مكانتك دنيا وأخرى وبين الناس . . .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمر الله عزّ وجلّ بعبدٍ إلى النـار فلما وقف على شفتها التفت: فقال: أما والله يا ربي إن كان ظني بك لحسنا. فقال الله عزّ وجلّ: ردوه أنا عند حسن ظن عبدي بي»، رواه البيهقي.

الرجاء الحار بالله يجب أن لا يفارق العبد المؤمن الأمل بالله الكبير ينبغي أن يصحب المرء في كل محطات حياته..

الله أرحم بعباده من عباده...
الله أكرم من عباده على عباده...

الرجاء بالله وحسن الظن به مع العمل الصالح، أو التوبة النصوح.. مطلوب من الإنسان.

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من يلي الحساب يوم القيامة؟
فقال عليه الصلاة والسلام: الله تبارك وتعالى.
فقال الأعرابي: هو نفسه.
فقال النبي ﷺ: نعم هو نفسه.
فقال الأعرابي: إن الكريم إذا قدر عفا وإذ حاسب سامح..
فقال عليه السلام: إنه لا أكرم من الله تبارك وتعالى يقول الله عز وجل «أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء».. أي فليظن بالله إن خيراً لقي خيراً، وإن ظن سوءاً لقي كما ظن.

وعن حيان بن أبي النضر قال: خرجت عائداً ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته فدخلنا عليه، فلما رأى واثلة بسط يده وجعل يشير إليه، فأقبل واثلة حتى جلس فأخذ يزيد بكفه فجعلهما على وجهه. فقال واثلة: كيف ظنك

بالله قال: ظني بالله والله حسن، قال فأبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله جلا وعلا: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنّ خيراً فله، وإن ظنّ شراً فله» رواه أحمد.

فلا تبتئس يا أخي إن كنت عصيت ربك في نهارك، أهملت في عبادتك. . أو قصرت في عملك.

انوِ أن لا تعود إلى ذلك. .

انوِ أن تحسن في عملك وعبادتك. .

انوِ أن تكون من غدك مع الناس على أحسن ما يحبون. . .

وظن بالله خيراً. . ونم وأنت حسن الظن بالله، فإذا لقيت ربك لقيته وأنت حسن الظن به، فيقال لك ما قيل للرجل الذي أشرف على النار «ردوه أنا عند حسن ظن عبدي بي».

الوفاء لمن أحسن إليك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: آمين آمين آمين»، قيل يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت: «آمين آمين آمين (أي ثلاث مرات) فقال: «إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فابعده الله فقلت آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين، ومن ذكرتَ عنده فلم يصلّ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين»، رواه الترمذي وابن حبان.

يتيح الله للإنسان أن يكون إنساناً.. ويعطيه الفرصة في حياته أن يرتقي إلى الرسالة التي كرمه الله بها، والعقل الذي آتاه إياه، والأنس الذي جعله من اسمه.

من تمام الإنسانية أن يفي الإنسان لمن أحسن إليه: وأعظم من أحسن إلى الإنسان ثلاثة أولها: ربّه الذي خلقه فسواه فعدله في أكرم صورة ركبه، وأعطاه نعمة الصحة وسلامة الأعضاء، والقدرة على الحياة: وخلق له ما في الكون مسخراً له بنعمه وخيراته، وأرضه وسمائه، وبحيراته وأنهاره وطيوره وحيواناته، وخضرته وأشجاره، وريحه وهوائه ﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه أنَّا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقاً. فأنبتنا فيها حباً. وعنباً وقضباً. وزيتوناً ونخلا. وحدائق غلباً. وفاكهة وأبّا. متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾، وقد أتاح الله لك العبادة في شهر رمضان وغير رمضان فإذا كان رمضان ولم تستطع أن تعبد ربك وفاء لنعمه، وشكراناً لإحسانه فابعدك الله عن الجنة وأدخلك النار. والثاني: نبيه محمد عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله إليه بالهداية والإرشاد، فأفنى عمره وبذل جهده، حتى أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وجمع الأمة، ووحدها وأرسى حضارتها، وجعل للإنسان كرامته وقيمته، أفلا يجدر بك أن تذكر دائماً هذا الإنسان العظيم محمداً فتصلي عليه كلما ذكر، فمن لم يفعل

ذلك كان ناكراً للجميل، متنكراً لمن أحسن إليه فأبعده الله عن الجنة وأدخله النار. صلى الله عليك يا محمد.

والثالث: أبواك: أمك وأبوك سبب وجودك وسبيل بقائك، ربياك وهدياك وأرشداك وأخذا بيدك حتى صرت فتى يافعاً، أو فتاة كاعبة، فمن تمام الشكر والإحسان أن تكسب مودتهما وأن تنال رضاهما، وتحرص على طاعتهما وفاء لبعض الجميل.. فإذا أدركت أحدهما ولم تنل رضا الله أبعدك الله من الجنة وقربك من النار...

فيا أخي: إسْعَ لمرضاة الله، وصلِّ على نبيك محمد كلما ذكر اسمه، وأحسن إلى والديك.. خشية أن تنالك دعوة محمد في بعدك عن رحمة الله...

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله عزّ وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إنَّ أخذه أليم شديد**﴾ [هود: ١٠٢].

يا أخي:
انظر إلى نفسك هل تحب أن يظلمك أحد من الناس..
هل تحب أن يعتدي أحد على مالك أو عرضك أو نفسك..
هل تحب أن تسمع كلمة سوء، أو سباباً أو فحشاً..
هل تحب أن يتعرض لك أحد بظلم على ولدك وأهلك..
طبعاً لا تحب ذلك..
فلا تظلم الناس إذن بما لا تحب أن يقع منهم عليك..
هل تحب أن تسمع كلمة الخير..
هل تحب أن يقال فيك كلّ الخير..
هل تحب أن يحسن الناس إليك في مالك وأهلك وولدك وعائلتك وأسرتك..
إذن فافعل معهم ما تحب أن يفعلوه معك... ولا تظلم أحداً..
إذا كنت غنياً فلا تظلم الفقراء ولا تحرمهم حقهم..
إذا كنت قوياً فلا تغتر بقوتك وتعتدي على حقوق الناس..
إذا كنت صاحب سلطان فلا تظلم أحداً من الناس اعتزازاً بسلطانك وغروراً بجاهك...

إن الظلم لا يدوم.. إن الظلم عاقبته وخيمة.. إنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة.. إن الله لا يهمل الظالم وإن أمهله، فإذا عاقبه كان عقابه شديداً أليماً، قال تعالى: ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾.

وقال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا». . فامنع الظلم عن نفسك بمنع الظلم عن الناس. . تكن أسعد الناس.

قال رسول الله ﷺ : «خير الصدقة ما بَقَّى غنى واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول، تقول امرأتك أنفق عليّ أو طلقني ، ويقول مملوكك أنفق علي أو بعني ، ويقول ولدك : إلى من تكلنا» .

كثير من الناس لا يحسب للأمور عواقبها، ولا يقدر مسئولية من استرعاه الله إياهم من زوجته وخدمه وأهله . . ينفق في الخير . وينفق في غير الخير . . . والنفقة في غير الخير إسراف وإثم : فالـذي ينفق راتبه ودخله على خمر يشربها، أو لذة يفعلها، أو قمار يلعبه، مسرف آثم يستحق غضب الله .

وإذا كان الإسلام اعتبر الخير في الصدقات والخير في الإنفاق إلا أنه بيّن أن خير الإنفـاق ما حسب فيه الإنســان حسـاب أهله وأولاده، و نظر إلى مصلحتهم والإنفاق عليهم . .

فما منعك الإسلام من الإنفاق في سبيل الله ، ولا التبرع للفقراء، ولا الصدقة في مشروعات الخير . . ولكن بيّن لك أن خير الصدقة أن تبقى من مالك ما تتاجر به ، وتستغني به عن أراذل الناس، واليد العليا خير من السفلى ، واليد المعطية خير من الآخذة، ولكن مع نفقتك وصدقتك على الفقراء ومشروعات الخير احسب حساب أهلك . وابدأ بمن تعول : فإذا لم يبقَ لديك مال تنفقه على أهلك فارقتك امرأتك وتركك خادمك ، وحمّلك أطفالك المسؤولية .

هذا في الخير . . فكيف بأولئـك الـذين ينفقـون أمـوالهم على المعـاصي والملذات، على موائـد القمار وأنواع الشراب المحرم، على نوادي الليل وفتيات الليل . . ويهملون بيوتهم وأولادهم وأسـرهم بل ويتـركـونهم يتضورون جوعاً، أو يقاسون ألم الحرمان من عطف الأبوة ورعاية الأسرة، بل إن بعض الذين لا خلاق لهم يستغرقون في المعصية أوقاتهم فتفسد أسرتهم وتضيع زوجاتهم وتهمل أولادهم .

وكم في هذا من شقاء على النفس والأمة، فيا أخي المشاهد:

راع أهلك بالإنفاق، وابق لهم من مالك ما يقتاتون به، ولا تهملهم نفقة ورعاية والنبي ﷺ يقول: «ما أطعمت نفسك فهو صدقة، وما أطعمت ولدك وزوجتك وخادمك فهو صدقة».

دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام:

«اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واعظم لي نوراً» رواه البخاري في الأدب المفرد.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بت عند خالتي ميمونة، فقام النبي ﷺ، فأتى حاجته، فغسل وجهه ويديه ثم نام، ثم قام فأتى القربة فاطلق شناقها (رباطها) ثم توضأ وضوءاً بين وضوئين لم يكثر وقد أبلغ، فصلّى، فقمت فتمطيت كراهية أن يرى أني كنت أنتبه له، فتوضأت، فقام فصلى، فقمت عن يساره، فأخذ بيدي فادارني عن يمينه، فتتامت صلاته (من الليل) ثلاث عشرة ركعة، ثم اضطجع فنام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، فأذنه بلال الصلاة، فصلى ولم يتوضأ وكان في دعائه «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واعظم لي نوراً. . .

يا أخي:

كم تقضي من وقت. . في عملك واشغالك وجمع مالك. . كم تقضي من وقت في حديث مع زميلك أو صديقك أو أهلك أو أولادك. .

كم تقضي من وقت تسهر فيه مع أترابك، أو تلعب فيه من زهرك، أو تقرأ فيه كتاباً أو مجلة أو صحيفة. .

كم تقضي من وقت في دار من دور اللهو. . أو سير في شوارع بلدك، أو تلعب رياضة من رياضاتك. .

أنت الليلة مثلاً قضيت جانباً من وقتك تستمتع برؤية الأفلام والتمثيليات. . هلاّ

ارحت نفسك بالاتصال بالله . . .

هلّا فعلت ما فعل رسول الله . . رسول الله الذي قلب موازين الدنيا كلها، وجعل لك ذكراً في التاريخ، ومجداً في الأمم والذي جعل لك رسالة تحملها للعالمين . . والـذي نقـل لغتـك العربية ودينك الإسلامي لأقطار الأرض جميعاً، وأشاع معنى المحبة والحضارة والأمن والسلام في كل أرجاء الدنيا.

كان قبل أن ينام يقضي حاجته، ويغسل وجهه ويديه ويستريح، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي لله عزّ وجلّ . . لا يبالغ في الضوء، ولا يبالغ في الصلاة . . ولا يبالغ في النوم . .

على الرغم من أنه نبي رسول وقائد مشغول، ومدبر دولة وسائس حكم لا ينسى خالقه الذي خلقه فسواه فعدله . .

لا ينسى المنعم المتفضل عليه فيصلي له في الليل . . لا ينسى أن ينام نظيفاً في جسمه . . . نظيفاً في روحه . . نظيفاً في نفسه . . متصلاً بالله . . ليدرك أنه إليه راجع . . فيسع الدنيا جميعها بسموه ونظافته وأخلاقه . . فتكون نوراً في كلماته فلا يتلفظ إلا بالخير . . . ونـوراً في قلبه فلا يحقد ولا يضمر السوء لأحد . . ونوراً في سمعه فلا يسمح لسمعه أن يلتقط إلّا كلمات الخير وأن يستجيب لدعاء المضطر والمستغيث والمستعين به . . ونوراً حوله عن يمينه وشماله وأمامه وفوقه وخلفه . . لأنه يحب النور ويكره الظلام.

يحب العمـل في وضـوح . . ويكره اللف والدوران . . . يحب الضياء . . نيّر الطريق . . نيّر الكلمة، نيّر اليد، نيّر العمل . . نيّر الخلق . . نيّر العقل . . هذا أنت يا رسول الله فأعِنّا يا رب لأن نقتدي برسولك ونهتدي بهديه . . وندعو بدعائه . .

اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً واعظم لي نوراً.

قال عليه الصلاة والسلام: «من كثر كلامه، كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به».

الكلمة طريق الخير أو طريق الشر..

الكلمة حبة من نور أو جمرة من نار..

إما أن تضيء بها جوانب الحياة، وإما أن تحرق بها حياتك وحياة الناس.. فانظر ماذا يخرج من فمك..

لا تتكلم إلا بالخير، ولا تخرج لسانك إلا بالحديث الحلو الذي يصلح بين الناس أو ينصح عباد الله.. أو يأمر بصدقة كما قال الله عز وجل ﴿**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس**﴾.

ولا تكثر من الكلام... الصمت دائماً خير من هذر الكلام، قال عليه الصلاة والسلام: «من صمت نجا»، وقال: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه».

من كثر كلامه، وأحب أن يسيطر على المجالس بما يقول وإن يبرز في الحديث.. كثرت سقطاته وزلات لسانه، ومن كان كذلك لجأ إلى الاستغابة وتناول أعراض الناس أو الخوض فيما لا يفيد ويُجدي.. فيسقط من عيون الناس وتذهب مهابته، وتكثر ذنوبه وخطاياه..

ورحم الله امرأ قال فغنم أو سكت فسلم، وكما يقول عليه الصلاة والسلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

من كثرة الكلام كثرة المزاح...

من كثرة الكلام الكذب والاستغابة وتناول الأعراض والمجادلة والمراء، قال عليه السلام: «لا يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق»، والمراء

هنا الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه . . بالترفع وإظهار الفضل . .

وقانا الله وإياك يا أخي المشاهد من الكلام في غير موضعه، ومن كثرته للسيطرة والتـظاهر، ووقاك الله من سقطات اللسان وزلاته، وجنبـك فضول القول وألزمك كلمة الخير وحلو الكلام .

عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح. . والكلمة الحسنة» . وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تؤتى بالصبيان إذا ولدوا، فتدعو لهم بالبركة، فأُتيتْ بصبي، فذهبت تضع وسادته فإذا تحت رأسه موس فسألتهم عن الموس، فقالوا نجعلها من الجن فأخذت الموس فرمت بها ونهتهم عنها وقالت إن رسول الله ﷺ يكره الطيرة ويبغضها» .

يا أخي المشاهد:

لماذا يجعل بعض الناس الحياة سوداء، والمعيشة ضنكاً، والمعاشرة تشاؤماً . لماذا ينظر الناس إلى الدنيا من خلال المنظار الأسود، والغلالة السوداء. .

لماذا لا يبصرون جمال الحياة. . جمال الكون، ألا نظرة في النجوم. . والليل بهيم. . وهي تتلألأ حبات ضيئة تلقي أشعة الأمل في النفس.

ألا نظرة في الشعاع الفضي يلقيه القمر في الليلة المقمرة على البيوت والأشجار والجبال والفضاء فيغمر النفس سلامٌ ورواء وحسن.

ألا نظرة يلقيها الإنسان البصير على الأشجار والنباتات والأرض المكسوة الخضراء، أو الصحراء الغبراء . . ليرى فساحة هذه الأرض، وجمال ما أبدع الخلاق. . فكيف بالكون الواسع والفضاء العريض. .

ألا نظرة يلقيها على نفسه ليرى آثار نعم الله فيه. . وليلق نظرات على الناس أليس فيهم خير، أليس في الناس وفاء، ألا ترى كيف يتعاون الناس في تيسير الحياة؟

فلماذا التشاؤم؟ من اخترع المخترعات الميسرة؟ ومن اكتشف السيارة والطيارة؟ والثلاجة والغسالة والمخاريث والحصادات، والموتورات من صنع المصانع الكبرى

وحـاك الثياب، واستنبط المـاء واستنبت الصحـراء؟ . . أليس الإنسان أخاك . . . فلمـاذا التشـاؤم، ولـم لا تتفـاءل؟ ، النبي ﷺ ينهى عن التشاؤم ويطلب إليك أن تتفاءل، وخير التفاؤل الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم، الكلمة الحسنة تلقيها إلى أخيك تبعث في نفسه الرضا، وتشيع في قلبه الاطمئنان وتجعله يبتسم للحياة والدنيا والناس.

إن الله يحب التفاؤل ويكره التطير والتشاؤم . . .
فتفاءلوا : الخير أكثر من الشر. . .
والناس فيها الخير ما نظرت إليهم بخير. . .
الحياة جميلة ما نظرت إليها بصفاء. . .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، وعن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف في صلاته: استغفر الله ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام». .

اللهم أنت السلام. . ومنك السلام. .
سلام البشرية من خصام الحياة. . .
سلام النفس وطمأنيتها من أوضار الحياة. .
سلام الإنسان مع أخيه الإنسان يعيش معه في وئام ومحبة واطمئنان. .

هذا الرسول ﷺ يا أخي المشاهد السامع، يعلمني ويعلمك كيف يكون الإقبال على الدنيا والعمل فيها بعد الانصراف من الصلاة. . لا يطيل المكوث بعد الصلاة، حتى ينصرف الناس إلى أعمالهم، وينتشروا بعدها في الأرض ابتغاء أرزاقهم، ويعلمهم مختصر القول ولطيف الاختصار: اللهم أنت السلام. . ومنك السلام. . فاحمل السلام والمحبة والأمان لإخوانك، والتزمهما في أعمالك، فالحياة بلا سلام شقاء، والعمل بلا محبة شقاء، ومعاشرة الناس من غير سلام في النفس، وطمأنينة في القلب وبغير سلام مع أخيك الإنسان شقاء. . والدنيا إذا خلت من السلام شقاء. .

والإسلام جعل تحيته السلام، وتحية أهل الجنة السلام **﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾**، **﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾**.

فيا أخي: احرص على السلام مع إخوتك وأحبتك، احرص على سلام النفس والقلب والعمل، وانقل السلام إلى الناس تعش في سلام. . وودع ليلك في سلام واستقبل في الغد نهارك في سلام. .

ولكن إياك والسلام مع أعداء السلام، إياك والسلام مع جند الشيطان من الذين اغتصبوا أرضك ونهبوا مالك، واعتدوا على مسجدك الأقصى وطردوك من بلدك واعتقلوا اخوتك وسجنوا وقتلوا وكفروا وعلوا علواً كبيراً، وتعاونوا على البغي والعدوان والاستيطان ونهب الأوطان، فلا سلام مع هؤلاء، ولا أمان لهؤلاء، ولا ينفع مع هؤلاء إلا الجهاد في سبيل الله . .

فالمسلمون حرب على من ابتغى الدسّ والفساد والعدوان . . والمسلمون سلام لمن أحب السلام وعمل من أجل السلام، ودعاؤهم دعاء نبيهم : «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام» .

وقديماً قال رسول الله ﷺ «ما حسدكم اليهود على شيء ما حسدوكم على السلام والتأمين»، وقال : «السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله في الأرض فأفشوا السلام بينكم» .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». رواه البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». رواه البخاري.

في الحديث الأول.. وصف لما يجب عليه أن نكون.. إذا أردنا أن نكون أجزاء مثمرة يانعة من أمة، وأفراداً عاملين في مجتمع.. وأناساً صالحين بين الناس.. إذا أردنا أن نتمثل الشخصية المسلمة المسالمة التي تحب أن تحيا مع الآخرين، وتحب أن تكون مع البشر.. في صفاء ونقاء وإخاء.. فلا إيذاء، لا إيذاء بقول.. مسبةٍ أو غمزٍ أو لمزٍ أو استغابةٍ، أو إساءةٍ أو افتراءٍ، أو طعنٍ أو إهانةٍ أو إشاعةٍ ظالمة، أو إشاعةٍ لسوء.. أو ترويجٍ لخبر..

لا إيذاء بيد.. بعمل.. فلا ضربَ.. ولا جرحَ.. ولا سرقةَ ولا نهبَ ولا سلبَ.. ولا اعتداءَ ولا إلقاءَ أذى.. في الطريق أو على الجار.. ولا إساءةً بيد مهما كان نوعها...

لأن المسلم من سلم الناس من يده.. ولسانه.. وميزان ذلك يا أخي في الحديث الثاني.. ماذا تحب أن تكون، ماذا تحب أن يكون الناس معك.. ما أحببته لنفسك.. يحبه الناس لأنفسهم..

فاحرص إذن على أن تقدم للآخرين ما تريد أن يقدموه لك.. محبة ومودة وأخوة وبشاشة ومعونة ومساعدة واحتراماً وبعداً عن الإيذاء في اللسان واليد.. وهذا هو الإيمان.

بل شرط الإيمان . . وصفة الإسلام . . أن يسلم الناس من أذاك . . ومعيار ذلك أن تقول: ماذا يؤذيني فإن علمته فهو ما يؤذي الآخرين، وإن كرهتَ أن يفعل معك أحد شيئاً فهو ما يكرهه الآخرون لأنفسهم أيضاً . .

فأحب للناس ما تحبه لنفسك، ونم ليلتك وأنت موقن بمحبة الناس . . ومودةِ الناس تكن من المؤمنين وصدق رسول الله ﷺ:

«لا يؤمن عبد حتى يحب الناس».

«ولا يؤمن أحدكم حتى يحبكم».

قال عليه الصلاة والسلام: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

إن شر إناء يملأه الإنسان هو معدته.. فالمعدة بيت الداء.. فإذا أثقلها الإنسان بالطعام والشراب... وحشاها فوق طاقتها وقدرتها أدى به ذلك إلى إرهاقها وتعبها فيتعب جسمه ويثقل بدنه.. وتثقل بذلك نفسه، ويقل فهمه، ويصعب عليه إدراك الأشياء.. وربما أدى ثقل البدن إلى النوم. قال الشافعي.. «من أكل كثيراً نام كثيراً ومن نام كثيراً فاته خير كثير».. والجسم لا يأخذ من الطعام إلا حاجته وما زاد فلا فائدة فيه.. فضلاً عن هذا فإنه ترف وإسراف وتضييع أموال.

الطعام المطلوب ما يقوى الجسد ويقيم الصلب فإن أكثر فليكن الثلث طعاماً والثلث شراباً والباقي فراغاً.. وبذا لا يكون ترفاً وما أسوأ الترف إذا تحكم في الأمة.. فهو يؤدي إلى الدمار والضياع...

كان المترفون من الرومان يأكلون ويستمتعون بما يأكلون.. ثم يذهبون فيقيئون ما يأكلون، ثم يعودون فيأكلون ترفاً وبطراً فذهبت دولة الرومان، لأن الإنسان حين يعيش ليأكل ويكثر من الأكل يصبح همه الأكل والشرب ويبتعد عن العمل من أجل مصالح أمته ويضيع أمام الحق والخير. **﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾**.

فاقتصر يا أخي من الطعام على حاجتك.. ودع الترف وإسرافه.. ووفر للناس غيرك ما يأكلون.. وبذا لا يشكو المجتمع من قلة الطعام وشح الخيرات..

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم قوم على النبي ﷺ فقالوا: إن فلاناً يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال: «أيّكم كان يكفي طعامه وشرابه؟ فقالوا: كلنا. فقال: كلكم خير منه».

أنا أحب وأحترم أولئك الذين يتعبدون ويعملون، يؤدون واجبهم نحو الله ويسعون من أجل قوتهم وقوت عيالهم.. ولا أحب أولئك الذين يتكلون على غيرهم باسم الدين.. إن هذا الذي يعبد الله فيصوم نهاره، ويتعبد في الليل صلاة ودعاء وقراءة قرآن، ويذكر الله ويتلو آياته.. ثم لا يسعى لرزقه ولا يعمل من أجل قوته.. ما قيمة عبادته إذا كان صاحبها كلًّا على الناس يستجدي منهم قوته وطعامه..

رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوماً فقال: ما أنتم، ولم يقل من أنتم - أي في أي حالة من الحالات أنتم - قالوا: نحن متوكلون - أي متوكلون على الله - فقال عمر: كذبتم لستم بالمتوكلين إنما المتوكل رجل ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله..

المتوكل رجل سعى لرزقه وعمل في عمل من الأعمال كالزراعة، حرث الأرض وألقى الحب.. وتوكل بعدئذٍ على الله ينتظر نزول المطر ونبات الحب وإخصاب هذا الحب..

فالخيرية ليست فقط في الصيام والقيام والصلاة والذكر.. إنما الخيرية في الشخصية الإسلامية المتكاملة الخيرية الكاملة.. فمن يعمل من أجل رزقه، ويسعى من أجل عياله.. فهو كالمجاهد في سبيل الله... يقوم بواجب العبادة لله..

أما أن يتلبس بالدين.. ويقوم بأداء الفرائض والعبادة فيه.. ثم لا يعمل عملاً.. إنه امرؤ غيره خير منه... إنه عبء على الأمة، مفرط في حق نفسه وأهله ومجتمعه..

فاحذر يا أخي المشاهد أن تكون واحداً من هؤلاء. . . بل كن عاملاً عابداً تفد نفسك وأمتك. .

قال عليه الصلاة والسلام : «كل واشرب والبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة» . رواه البخاري .

أنت إنسان . . بحاجة إلى غذاء . . .
بحاجة إلى طعام وشراب . . .
تأثم إذا لم تطعم . .
وتثاب في تناول الشراب . . .
فليست الحياة عزوفاً عن أطايب الحلال . . .
وأنت في حاجة إلى أن تكسو عريك . .
وتلبس ما يستر بدنك وتتخير ما شئت من اللباس وزينة اللباس . . **﴿قُل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** . . ولكن لاحظ أنك لم تخلق للطعام والشراب واللباس بل هي أدوات تستعين بها على الحياة . . . فكل وأعط المحتاج مما تأكل . . . واشرب ودع غيرك ينل لذة الشراب كما تفعل . .

تصدق بالطعام والشراب . . وكن كذلك بعيداً عن الترف والإسراف . . . فما تقهقرت الأمم إلا حين ترفت ، وما ضعفت إلا حين أسرفت . . وما قامت دولة أجدادك ولا انتشرت حضاراتهم إلا حين كانت هذه وسائل حياة . . لا ترف ولا إسراف .

وما ضاعت أمجادنا في الأندلس وفلسطين وزالت قوتنا إلا حين كان همنا الطعام والشراب والكبر الخيلاء . . .

فتذكر قول الله سبحانه : **﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاّ قليلاً وكنا نحن الوارثين﴾** وقوله : **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميراً﴾** .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا** يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم**﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**﴾، [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا ربّ يا ربّ.. ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّي بالحرام فأنّى يستجاب له».

يا أخي المشاهد...

إليك هذه الحبات من الضوء... ضعها في قلبك قبل أن تنام.. سعيت يومك.. جاهداً في كسب رزقك.. أو عاملاً من أجل قوتك.. أو دارساً من أجل علمك...

تنقلت وسافرت.. والتقيت بمن التقيت وحدثت من حدثت.. أو اشتغلت بأعمالك ثم عدت إلى بيتك.. واجتمعت بأهلك وشاهدت ما شاهدت من برامج التلفزيون.. وكل ذلك: ما لم يكن طيباً.. هباء.. والطيب الحلال.. والطيب تستريح له النفس، ويتمتع به المؤمن.. والطيب الصالح.. أكلاً وملبساً وكلمة...

والله يفرح بكسب الطيب.. ويكره الكسب الخبيث ولا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث وفي إيامنا هذه.. كثير هو الخبيث.. وقليل هو الطيب.

ولكن الطيب أكثر خيراً وبركة وأحسن عاقبة، وربك هو مانح الخير وواهب الصحة ومدبر الكون، وأنت لا تستطيع منع الشر ولكن الله يستطيع، وأنت لا تمنع المرض ولكن الله يمنعه. وأنت لا تهب الحياة والصحة والرزق ولكن الله هو الذي

يهبهـا، فتقـرب إليه بكسب الطيب. . فإذا دعوت استجاب لك لأنك لم تكسب الحرام ولم تطعم الحرام ولم تلبس الحرام ولم تسع في الحرام. . .

واجعل باب الله مفتوحاً لك بالعمل الطيب ولا تسده بالذنوب. .

نحـن ندعـو الإلـه في كل كربٍ   ثم ننسـاه عنـد كشف الكـروب

فكـيف نرجـو إجـابـة لدعـاء   قد سددنـا طريقـه بالـذنـوب

أخي المشاهد الكريم:

اسمع هذا الحديث، وتبصر فيه فهو لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل...
تأمل في قول نبيِّنا عليه الصلاة والسلام.. وامعن النظر فيه قبل أن تنام..
واجعله زادك للصباح.. وازدد إيماناً بخالقك الذي يرعاك..

روى أبو ذر عن النبي ﷺ فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا!

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم!
يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم!
يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم!
يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلاّ كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إيّاها فمن وجد خيراً فليحمد الله عزّ وجلّ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه».

قال أبو سعيد كان أبو أدريس الخولاني إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه.

خطب رسول الله ﷺ فقال: «والله ما الفقر أخشى عليكم.. ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم».

وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله.. وازهد في أيدي الناس يحّبك الناس»..

إليك.. إليك يا أخي المشاهد وقد ودّعت يومك.. وأوشكت أن تودع نفسك بين يدي الله ساعات نومك، سعيت يومك على رزقك وأدخلت على مالك ما أدخلت.. انفقته أو ادّخرته.. ما تكسبته هو رزق الله إليك.. حلال لك.. ولكن إذا بسطت لك الدنيا فلا تبطر، إذا كثر مالك فلا تغتر، إذا تكاثرت بين يديك الدراهم والدنانير. وأمسى عدّها لديك شاغلاً.. إذا فتح الله عليك الخير من خزائنه.. وأجرى النعمة عليك تلو النعمة سوابغ هنيئةً.. مريئةً... فلا تكن العبد الناكر.. وكن العبد الشاكر.. ولا تكن الإنسان الذي يعصي الله بالمال ويتعلق به ويجري في لهاث وراءه فيعميه عن الحلال، ويوقعه في الحرام ويؤدي به إلى الجحود والكفران.. كفران النعمة.. كفران الخير. وتظنِ أن الرزق ساقه الله إليك لفضيلة فيك.. هو فضل الله.. فلا تتعلق به وأدِّ حقه.. وهذا هو الزهد..

هذا هو الزهد.. اسع وتكسب الرزق ولا تتعلق بالمال.. ازهد في الدنيا ولا تكن همك وازهد فيما بين أيدي الناس ولا تمدن عينيك إلى ما متع الله به الآخرين..

سئل أحمد بن حنبل عن الزهد فقال: ليس الزهد بتغبير الوجه، ولبس المرقعة وتشعيث الشعر، إنما الزهد أن تكون كما قال الله تعالى **﴿لكيلا تأسَوْا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾**.

وما أجمل دعاء الرسول عليه السلام : «اللهم اجعل الدنيا بين يدي ولا تجعلها في قلبي» .

قال ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا، وليس منا من غشنا، ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه». رواه الطبراني.

أنت أخي المشاهد تودع يومك لتستقبل غداً طيباً بإذن الله... تمسك بهذه الكلمات لغدك... وضعها معك زاداً إلى الصباح. لتبدأ يومكم برحمة الصغير من أبنائك وأبناء غيرك. لتبدأه بالرحمة... والرحمة عامة تكون بالكلمة الطيبة والقبلة الحنون تطبعها على خد الصغير. تكون بمساعدة الصغير على مواجهة الحياة.. بمسح اليد على رأس اليتيم وبمداعبة الأطفال.

ولتبدأ يومك بتوقير الكبير والبّر بوالديك يومك اطلب رضاهما، وابتغ هذا الرضا حياتك وحياتهما، واحترم من هو أكبر منك سناً كما ترحم من هو أصغر منك عمراً.

فأنت بين الاحترام والرحمة تنال محبة الناس...
وعزز ذلك بأن تكون صادقاً مع نفسك والناس...
صادقاً في الكلمة والبيع والمعاملة والتحية والسلام...
فمن غش في التحية بأن كانت نفاقاً...
ومن غش في الميزان بأن كان تطفيفاً...
ومن غش في أداء الواجب بأن كان زيفاً...
ومن غش في النصيحة بأن كانت خداعاً...
كان غير محب لنفسه ولا للناس..
والمؤمن لا يرضى لنفسه أن يهان فلا يحترم، وأن يُذَلَّ فلا يُرحم، وأن يُغش فلا يُنصح.

فليحب للآخرين ما أحبه لنفسه.

فيا أخي المشاهد:

استقبل غدك بأربع: رحمة للصغير وتوقير للكبير ونصح للناس... ومحبة للجميع، ما أجمل المحبة وأحلى ظلها الكبير..!!

قال ﷺ لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة.. ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» رواه مسلم.

ما قيمة الإنسان.. إذا فقد إنسانيته.. إذا أصبح كالحيوان في تعامله مع أخيه الإنسان.. إن الحيوان يتعامل من فصيلته تعاملاً طيباً بالفطرة والخليقة..

أما الإنسان الذي ينحرف عن الفطرة فيشتم الناس، ويفتري عليهم، ويأكل أموالهم، ويجرح أبدانهم، ويسيل دماءهم، ويضرب الآخرين ويعتدي عليهم... ما قيمته؟.. لا قيمة له عند الله ولو صلى وأطال الصلاة.. ولو صام وأدى فرضه، ولو أخرج زكاة ماله وأرضى بها الفقير..

إن الإنسان جزء من أمته ومجتمعه.. يجب أن يعيش لهم ومعهم فيحسن خلقه ويعاملهم بالحسنى.. وإلاّ فإن الله تبارك وتعالى سوف يحاسبه يوم القيامة حساباً عسيراً يخصم حسناته من سيئاته ويعطي الحسنات إلى من أساء إليهم.. فإذا لم تكف حط من سيئاتهم عليه حتى يدخل النار..

والدنيا يا أخي دار ممر لا مقرّ.. والآخرة هي الدار الباقية وهي خير وأبقى فلا تنس الآخرة.. بإحسانك إلى إخوانك في الدنيا..

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «افراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن طريق الناس لك صدقة، وهدايتك الرجل في أرض الضالة صدقة». رواه البخاري في كتاب الأدب والترمذي في صحيحه.

أرأيت... هذه هي الحياة الكريمة...
هذا الإنسان الكريم...
وهذا هو الدين العظيم...

الحياة التي تكون تعاوناً بين الأخ وأخيه... تعاوناً في المادة تسقيه وتطعمه إذا احتاج.. وتعاوناً في طريق الخير المعنوي... تدل أخاك على المعروف، وتصرفه عن المنكر.. وتلقاه بوجه باسم ضاحك طلق تزيل منه آثار الجفوة.. لا تلقاه بوجه عابس غاضب.. فقد كنت ألقى بعض الناس عابساً غاضباً لا يفتر وجهه عن بسمة، في لحية كثة ووجه غضوب، فأسأله فيقول في غلظة بعيدة عن كل إيمان «الحياة جادة».. فأقول: رسول الله يقول: «تبسمك في وجه أخيك صدقة».. فافرد وجهك، وليست جدية الحياة أن تكون غليظ الوجه مقطب الجبين..

وتعاونا في إزالة الصعوبات، وتذليل الحياة، وتسهيل الأمور في كل شيء حتى في إماطة الأذى عن الطريق، والحجر والشوك لا أن تلقي ذلك.. يلعب الأطفال فيتركون الحجارة في طريق السيارات والناس.. وتقف السيارة للاصلاح فيضع السائق الحجارة ثم يمضي ويتركها في الطريق.. ويلقي الناس بالأقذار والأشواك على الناس وفي طريق الناس... ليس هذا من خلق الإسلام ولا من العقلاء..

وتعاونا في الإرشاد والهداية حتى في الدلالة على الطريق.. هذه هي الحياة الكريمة والإنسان الكريم..

ونتائجها المحبة والحياة النظيفة والمجتمع السليم، والخلوص من الأذى، والسلامة في المعيشة، والابتعاد عن المكروه، والتجنب للمنكر والتعاون في المعروف.

هذا هو دينك يا أخي المشاهد:

لك في كل ما تفعل صدقة وثواب في الدنيا كما قلت حياة كريمة ومجتمع كريم.

وفي الآخرة ثواب من الله عظيم، وجنات تجري من تحتها الإنهار ومساكن طيبة، ورضا من المولى العظيم...

فاحرص يا أخي على المعونة الطيبة للناس، والإرشاد الرفيق للمحتاجين، والبسمة الحلوة لاصدقائك وأهلك والناس أجمعين. وصدق رسول الله.

إلهي : أدعوك بما علمتنا أن ندعوك به في قرآنك العظيم :

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» .

«ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار» .

«ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار» . .

«ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربِّكم فآمنا ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار» .

«ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد» . .

«ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» . . .

«ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» . .

«ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» . . .

«ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين» . .

«ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» . .

«ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» . .

«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» . .

إلهي :

وأنا مقبل عليك ليلتي ، مسلم إليك نفسي «أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً» .

«رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء» . .

«رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين» . .

«رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ وأنْ أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين» . .

«رب اغفر لي والوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات» . .

يا رب . . استجب دعائي ودعاءنا واجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم .

قال تعالى :

﴿وما جعله الله إلاّ بُشرىٰ لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم. ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾ [آل عمران : ١٢٦-١٢٧].

يا أخي الواني من أوضار يومك الحاضر، المتمسح بأمجاد أمسك الغابر. .

قف معي في ثقة المؤمن أمام قول الله : **﴿وما جعله الله إلا بشرىٰ لكم﴾** والبشرىٰ أخبار بحصول ما فيه مسرةٌ ونفعٌ لك، فإن الله لما وعد بالنصر ورأى أناسٌ سوءٍ الحال وضعفَ الأمة استبعدوا وقوع النصر، فبشرهم الله به، وزاد على أن جمع إلى البشرى طمأنينة القلب، وسكون النفس، والثقة بوعد الله.

أليست بيده موازين الدنيا، يستطيع أن يقلب الأرض النقطة في بحرِ الكون فيجعلها متفجرة العواصف، محتدمة الزلازل، متفجرة البراكين. .

يستطيع أن يحرك البشر فيها، فإذا ضعيف اليوم قوي الغد، وقوي اليوم ضعيف الغد. . ليقطع طرفاً من الذين كفروا، فيستأصل قواهم، ويغير مواقعهم، أو يصيبهم بغم وحزن وهزيمة فيكبتهم، أو يعذبهم وما أكثرَ أنواع العذاب فينقلبوا خائبين.

يا أخي الأمر بيد الله وما كان في يد البشر فبسلطان منه، فإذا وكلت أمرك إليه، وعملت بما آتاك من قدرة، ولم تيأس من ضعف أنت فيه، واستشرفت المستقبل بأمل الإيمان وأدركت سنن الله في تغيير القلوب، وكبت الظالمين، وجعل العاقبة للعاملين. . أيقنت أن بشرى النصر تحملها نسائم الإيمان: **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾**.

قال تعالى: **﴿لا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنَّهم بمفازة من العذاب ولهم عذابٌ أليمٌ﴾** [آل عمران: ١٨٨].

جميل أن تفعل الخير. . أن تقدم المعونة إلى المحتاجين. . أن تمد يد المساعدة إلى البائسين. . أن تخدم إخوانك وتسعى في حاجاتهم.

جميل أن تكون واسطة المحبة، وموثق المودة بين الناس، أن تمسح بيدك آلام الجراح، وأن تأسوا آثار البؤس بما آتاك الله من مال، أو جاه، أو سلطان. . فلا تزل ثواب ذلك بالفرح والتباهي.

ولا يزدهيك فعل الخير إلى أن تصبح غاوياً للثناء بحق وبغير حق، محباً إلى أن تحمد على ما فعلت، متجاوزاً ذلك إلى أن تنسب لنفسك ما ليس لك فتحب أن يحمدك الناس على مالم تفعل. .

حب الثناء غريزة الإنسان، وحب سماع الثناء غريزة في الإنسان كذلك، فلا يسرف إنسان في الثناء إلى حق النفاق ولا يُغر بالثناء إنسان فيغرق في حبه إلى حد أن يضيع ثواب الإحسان، أو يستحق عذاب الرحمن.

يا أخي:

من حصيد يومك، وحصيلة عملك. . انظر كم فيه فعل خير فافرح بينك وبين نفسك، واشكر الله أن وفقك لحسن العمل وتواضع لله أن أنعم عليك ولا يصل بك الفرح حدَّ الزهو والعجب والكبر، ولا أن تظن نفسك أحسن من الناس بما قدمت، وقد قال عليه السلام: «البذاذة من الإيمان»، أي التواضع لله مع النعمة من الإيمان، ولكن اطلب مغفرة الله وثوابه ودوام فضله، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير مما يجمعون.

قال ثابت الأنصاري للنبي ﷺ يا رسول الله، والله لقد خشيت أن أكون هلكت: قال: ولم؟ قال: نهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل وأجدني أحب الحمد، ونهى عن الخيلاء وأنا أحب الجمال، ونهى أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة، قال بلى يا رسول الله».

فالحمد على كل فعل جميل، ولكن الازدهاء به غير جميل.. وفعل الخير جميل ولكن طلب الثناء على ما لم يفعل غير جميل.. ومحبة الجمال أجمل من الجميل.. ولكن الخيلاء والعجب والكبر يذهب جمال الجمال.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون**﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

يقول علماء الفلك والطبيعة أن عمر الأرض ثلاثة آلاف مليون سنة، انقضى أغلبها والأرض كوكب ميت لا تدب على أرضه مخلوقات، ولا يعمره إنسان. . .

ولدى بحث العلماء في هذه الأرض بما توصلوا إليه من علم نأخذ به ولو على المجاز، يقولون إن أثر الإنسان على الأرض لا يزيد على مائة ألف سنة.

ولكن ما توصل إلينا من حضاراته لا يزيد عمره على اثني عشر ألف عام. . فالإنسان الذي نحن منه إذن زائر حديث عهد بالأرض رغم ما حققه من تقدم علمي هائل، ورغم ما توصل إليه من وسائل اخترق به أجواء الأرض إلى آفاق المجموعة الشمسية التي هي نقطة على حافة نهر المجرة. . والمجرة واحدة من مائة مليون نهر مجرة. . هي والنجوم زينة للسماء كما قال سبحانه: ﴿**إنَّا زينا السماء الدُّنيا بمصابيح**﴾.

فالإنسان أو شبه الإنسان كان على الأرض قبل ميلاد الإنسان. . ولكنه كما أخبرت الملائكة لم يدرك لماذا خلقه الله في الأرض؟!

طغى وتجبر. .
ظلم وتكبر. .
أفسد وعاث فساداً. . .
سفك الدم الحرام. . . وألقى بقيم الإنسان في مهاوي النكران.
أضاع الحق واستباح الأعراض. .

نهب المال وصرفه في خراب الإنسان بدل أن يصرفه في العمران . . أسرف أو قتر، ترف أو تقشف، وقع في حمأة الشهوات، واستبد به الطغيان إلى الكفران بالله ونعمه . . فأزال الله وجوده عن الأرض بقدرته التي لا يدرك مداها إلّا هو . .

ثم خلقه، وجعله خليفة على الأرض فأفسد، وأرسل إليه الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين . . فاهتدى حيناً وطغى في أكثر الأحيان . .

أخي! آن للإنسان اليوم أن يدرك أن ما توصل إليه من اختراع وسائل التدمير كافية بتدمير الإنسان . . . ألا عودة رشيدة إلى الفطرة السليمة .

يا أخي المشاهد:

ابدأ بنفسك وتعرف إلى الله بالخير لعلك تكون حبة الضوء الأولى في رجوع الإنسان إلى فطرة الله .

قال تعالى : ﴿**إن في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ [سورة ق : ٣٧] . وقال : ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلى العالِمون**﴾ [سورة العنكبوت : ٤٣] .

يا أخي المشاهد :

أنت إنسان . . . وخير ما فيك شيئان : عقل ولسان .

عقل : ميّزك الله به عن بقية المخلوقات : تضبط به أمورك ، وتزن به أعمالك ، وتقيد به تصـرفـاتـك . . به جعلك الله أهلاً للخلافة في الأرض وعمرانها ، وأهلاً للتكليف بالأمانة والأعمال . . ﴿**إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان**﴾ .

والعقل كرَّمه الله وعظمه ، لأنك لا تصير إنساناً إلّا به : تفكر ، وتتدبر ، وتتأمل ، وتبدع وتخترع ، وتتلقى العلم ، وتحفظ المسائل ، وتعتبر ، وتبصر ، ﴿**ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك**﴾ .

وتنتهي به إلى أن تكون فاعلاً مؤثراً في حياتك ، تربط التفكير بالتدبير ، والتأمل بوجود الخالق ، والإبداع بالإحسان إلى الإنسانية ، والكلام أو اللغة التي ينطق بها اللسان هي الحد الفاصل بين الكائن الذي يعقل والكائن الذي لا يعقل . فاللسان معبر عن العقل ، فلا يكن لسانك إلا في الخير ولا تنطق به إلا ما فيه نفع الإنسان ، به سعادة الإنسان وشقاؤه ، وبه يكسب محبة الناس أو عداوتهم .

فيا أخي :

صن لسانك بعقلك واستعمله قبل أن تقدم على أي عمل ، فكر فيما حولك ، واجعـل عقلك ضابـطاً لكل التصرف وقد قيل للحسن بن علي متى يكون العاقل

عاقلاً، قال: «إذا عقله عقله عما لا ينبغي فهو عاقل به».

فاجعل من عقلك نوراً يهديك إلى الحق ويرشدك إلى الخير، ويجعلك مستقل التفكير.. فلا تُطفىء نور عقلك.

أبْقِ السراجَ مضيئاً في ظلام الليل... وظلام الأحداث، وظلمات الناس...

قال محمد ﷺ : «من أماط أذى عن طريق كتب له حسنة ، ومن قبلت منه حسنة دخل الجنة». أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن معقل بن يسار.

أماط : أزاح الأذى عن الطريق.

وأذى الطريق فهمه بعض الناس قاصراً على حجر يزيحه عن الطريق، أو تراب يرفعه، أو قاذورة يزيلها. . وهذا عمل جيد. . .

ولكن أذى الطريق أوسع يا أخي المشاهد من أن يكون إزاحة حجر أو تراب أو قذر. . إن إزاحة الأذى : أن تجعل السير في الطريق هَنِيًّا نظيفاً عفاً لك ولمن يشاركك فيه.

إذا جلست في الطريق فلا تؤذين الآخرين بنظراتك المتطفلة النهوم. . ولا تتركن بقايا ما تأكل على قارعة الطريق أو تلقيها في منتصفها : كأس شاي ، أو قشور بزر أو فاكهة أو أوراق التمسيح وغيرها. . وكثيراً ما نجد بعضهم يفعل ذلك أمام المقاهي أو مقاصف الجامعة أو المدارس ، أو أمام دكاكينهم وتجد عشرات الأوراق والكرتون والأوراق وكؤوس البلاستيك أذى في الطريق وقذى في الأعين. .

إذا سرت بسيارتك فلا تزاحم الناس، ولا تندفع يمنة ويسرة، ولا تلق بالأقذار من شبابيك السيارة. . تؤذي بالتزاحم والأوساخ المارة بأنفسهم أو بسياراتهم. . من إماطة الأذى أن تجعل سيرك هيناً، وشارعك نظيفاً. . .

المياه التي تلقى من نوافذ البيوت على رؤوس المارة أذى، الأتربة التي يتركها صاحب العمارة في الطريق أذى. .

السيارة التي توقفها معترضة أو تقف بها وسط الشارع أذى. . . الحفر التي تحفرها البلدية أو الناس في الشارع ثم تترك أذى. . وإزالتها واجب يكتسب بها

الإنسان حسنة من الله يدخل بها الجنة.

والامتناع عن فعل السيء للإنسان فيه ثواب كفعل الشيء الحسن، فالامتناع من إماطة الأذى. . .

ما أحسن أن نجد شوارعنا نظيفة لا يؤذى فيها الماشي ولا الراكب لا باللسان ولا باليد ولا بالمُلقيات. . .

وصدق رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

قال ﷺ : «لا تذكـروا هلكاكم إلا بخير»، أخرجه النسائي عن عائشة بإسناد جيد، وقال عليه السلام : «لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء» أخرجه الإمام أحمد بن حنبل.

تلك حسنة من محاسن الأخلاق.. مما دعا إليه الإسلام... أغفلها كثير من الناس.. وظنوا أن أمرها هيّن وهي مكارم الخلق...

أنت يا أخي : مفـروض أن تكـون في المجتمـع النـظيف عف اللسـان مع الأحياء.. لطيف المعشر، حلو الكلام، فالكلمة الحلوة تستلّ من صدور الحاقدين حقدهم ومن السيئين سوءهم، حتى ولو كانوا من أصحاب السفاهـة والبذاء.

مفروضٌ في الإنسان أن يحترم الأموات كما يحترم الأحياء.. وقد أفضوا إلى ما قدموا.. فلا تتناولهم إلا بخير.

بعض الناس.. يحلو له أن ينبش القبور بنبش سير الموتى، فيغضب أهلهم الأحياء، ويثير الأحقاد والضغائن ولا يؤدي هذا الكلام إلى خير أبداً..

شكا عكرمة بن أبي جهل إلى النبي ﷺ : «أنه إذا مـرَّ بالمدينة قيل له: هذا ابن عدو الله، فقام رسول الله خطيباً فقال: الناس معادن، خيارهم فـي الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا لا تؤذوا مسلماً بكافر».

ومرّ النبي ﷺ بقبر أبي جنحة فقال أبو بكر: «هذا قبر أبي جنحة الفاسق»، فقال خالد بن سعيد: والله ما يسرني أنه في أعلى عليين وإنه مثل أبي قحافة». فقال النبي ﷺ : «ألا لا تسبوا الموتى فتغضبوا الأحياء».. وفي رواية «ألا لا تؤذوا الأحياء بشتم الأموات.. ألا وإن البذاء لؤم.. والبذاء الفاحشة في القول»..

فما أجمل أن يصون الإنسان لسانه عن الأحياء والموتى فلا يتكلم إلا بخير ولا يقول إلا ثناء. .

تلك خلق الكريم. . .

والخلق الكريم صفة ترفعك ولا تضعك. . .

والخلق الذميم صفة تخفضك ولا ترفعك. .

وما أهون على الإنسان أن يكون كريم الخلق عفّ اللسان. .

قال محمد ﷺ : «قليل العمل ينفع مع العلم وكثير العمل لا ينفع مع ا الجهل»، أخرجه الديلمي في الفردوس عن أنس بن ماللك رضي الله عنه.

العمل على غير أصوله جهل..
العمل بغير علم عبث ضائع..
وقليل العمل ينفع إذا كان مبنياً على علم، وكثير العمل لا ينفع إذا كان بغير علم..

ما أروع هذا الكلام!!

لو بنيت عمارة كبيرة على غير علم وأصول انهارت على كبرها بعد مدة من الزمان، فضاع المال والعمل وربما أدّت إلى خسارة في الأرواح..

وبيت صغير تبنيه على علم وأصول يدوم مئات السنين...

أمة تبني نهضتها بقوة الجسد وكثرة العمل من غير علم تزول ولا تترك حضارة ولا تترك مدنية.. كما زالت دولة التتر.

وأمة مع العلم تبني نهضتها، تترك آثارها في العالمين عقيدة ومنهاجاً وروحاً وعلوماً واعرافاً وتقاليدَ كما فعلت أمة الإسلام..

وظاهره طالما حاولنا تصحيح مسارها.. بعض الشباب العبّاد المقبلين على الله.. ولكن من غير علم بالدين ولا بصر في الفقه.. يضرون أكثر مما ينفعون.. عمل مع الجهل لا يفيد المسلمين.

يجلس بعضهم في المساجد، أو يتنطح في الشوارع والمجالس، والمنتديات أو في أروقة الكليات.. يتكلم في الدين من غير علم مفسراً نصوص القرآن والحديث عن جهالة، مستنداً إلى عبادة كثيرة..

تعلموا قبل أن تعملوا . . .

والغريب : إن كثيراً من الناس يغرهم طول العبادة مع الجهل . . ويفتتنون بهؤلاء العبّاد الجهلاء . . مع أن بعض الناس من العلماء : يعملون فيفيدون أنفسهم ويفيدون الناس، على أصول من الفهم والعلم . . وقلة العمل هذا أنفع . . من كثير العمل مع الجهل . . .

يا أخي :

لو بدأت بالعمل على علم ولو قليلاً لأثمر مع الزمن وكان أبقى طويلاً . . ولو بدأت أمتنا بالعمل القليل مع العلم . . لكانت نهضتها أرسخ وأقوى . . .

العلم أولاً . . والعمل ثانياً . . وينفع العمل مع العلم . . ولا ينفع العمل مع الجهل . . جاء رجل النبي ﷺ فقال : أي العمل أفضل؟ قال : «العلم بالله»، قاله ثلاثاً : قال : يا رسول الله أسألك عن العمل وتخبرني عن العلم . قال : «قليل العمل ينفع مع العلم» . .

قال تعـالى : ﴿**حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقـة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسمـوا بالأزلام ذلكم فسق، اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشـوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسـلام ديناً فمن اضـطر في مخمصـة غيـر متجانفٍ لإثم فإن الله غفور رحيم**﴾ [المائدة : ٣].

الإسلام يا أخي السامع يحرص على أن يكون الإنسان سَوِيّاً في فكره وسلوكه وعمله وعقله وجسده، بعيداً عن كل ما يؤدي به إلى الأمراض والعاهات أو ما يؤدي إلى التوارث السيء في العادات. .

رسم لنا الطريق السوي في أمور من الحياة. . .
﴿**كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ . .
﴿**اليوم أحلّ لكم الطيبات**﴾ . . .

ولا تأكل قذراً: لحماً ميتاً. . أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزير وما يتصل به. . فالله الذي خلق هذه عرف ما فيها من علل وعاهات. . .

ولا تأكل ما لا يتصل بالله. . . ما لا يتصل بعقيدتك ما ذبح لغير الله أو ذبح على الأصنام. .

ودابـة ماتت خنقـاً، أوضربـاً، أوطعناً، أووقعت من مكان عال فماتت، أوماتت نطيحةً من دابة أخرى، أو ماتت بافتراس السباع لا تأكلها، هي مُلَوَّثَةٌ أو محبوسة الدم. . فيها ضرر والضرر يبتعد عنه الإنسان. . .

أنت يا أخي مميز: بالنظافة في المظهر والمخبر، في الظاهر والباطن. . وكما

تحرص على مظهرك أن يكون نظيفاً فاحرص على جوفك أن لا يدخله إلا طعام نظيف. . .

أما إذا اضطررت وخشيت على نفسك الهلاك من الجوع فكل بقدر الحاجة لا تزيد وتنقص ويغفر الله لك ما فعلته عن اضطرار. .

أنت يا سامعي :

لا تعش لنفسك في الدنيا. . لست وحدك فيها، أنت للناس. . لأهلك، لأولادك، لأخوانك، لمجتمعك. . فكن طيباً لا تأكل إلا طيباً ولا تشرب إلى طيباً، تعش طيباً في مطعمك وملبسك ومشربك وحديثك ومعاشرتك. . وما أجمل رائحة الطيب بين الناس. .

قال محمد ﷺ : «إني لم أبعث لعَّاناً وإنما بعثت رحمةً» ، أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

قيل لرسول الله ﷺ : ادعُ على المشركين ، قال : «إني لم ابعث لعاناً وإنما بعثت رحمة» .

وقد ورد أنه ﷺ قال : «أنا رحمة مهداة» . والرحمة رقة في القلب ورفق بالناس ، والاسم الذي يكرره المسلم في كل صلواته «بسم الله الرحمن الرحيم» .

الرحمة المفقودة من قلوب الناس . . جعلت حياة العالمين دماراً . . حروب مدمرة ، تبدو فيها قسوة الإنسان على الإنسان . أطفال يقتلون ، رجال يعدمون ، نساء يبقرون . . أشلاء أكداس في كل حرب تقع بين الناس . . . في الشرق أو الغرب . . كأن الدم البشري هيّن وهو عند الله عظيم . .

لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم .
رجل يقتل أخاه الذي يسكن معه من أجل متاع من الدنيا قليل . . .
وآخر يرى البائس والضعيف ولا يمد له يد الرحمة لِتُعين . . والإنسان : إنما هو في الأصل رحمة من الله ليعمر الأرض ، ليملأها محبةً وتعاوناً .

ليملأها رفقاً وليناً . .
ليملأها وداعةً وأنساً . .

والإسلام جاءك يا أخي رحمةً تمسح بها عن جباه الأشقياء شقاءهم ، وعن جنوب الضعفاء عجزهم ، وتزيل بها من تعاسة الحياة تعاستهم . .

واللعنة دعوة بالبعد عن رحمة لم يرضها رسول الله لمن آذوه ، وحاربوه ، ولم تكن لهم في معاملته رحمةُ الإنسان . . .

إني لم أبعث لعاناً. . .

إني هداية للناس ورحمة. . ولنا في رسول الله أسوة حسنة. فلا تنزعوا من قلوبكم الرحمة مع مخالفيكم في الرأي، ولا مع أعدائكم في السلاح.

يا أخي:

خالط الناس بخلق حسن، وقابل السيئة بالحسنة تنزع منهم أحقادهم، وتجعل العدو صديقاً، والمخالف محباً، والقاسي رحيماً.

فأنا وأنت في رحمة الله نعيش فلتكن حياتك رحمة لك ولأهلك وأبنائك وإخوانك وأعدائك والناس أجمعين.

قال محمد ﷺ: «إن هذه النار هي عدو لكم فإذا نمتم فاطفئوها عنكم». أخرجه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري...

النار.. أعاذنا الله من نار الحقد ونار الخبث ونار الآخرة.. النار مخلوق من مخلوقات الله، خلقها على صفتها تحرق فلا تبقي على شيء...

هي ذات فوائد.. لو أحسنا استغلالها: تصهر الحديد والمعادن.. وتخرج بصهرها الآلات والحلي والأسلحة والمعدات الثقيلة والخفيفة...

نصطلي بها في الشتاء، نستدفىء من وقر البرد.. ولكن يا ويح من يهمل استعمال النار أو إطفاء النار..

كم من حرائق التهمت مساحات شاسعة من الغابات..
كم من حرائق أتت على بيوت أو أحياء...
كم من نيران تدفقت فأحرقت اليابس والأخضر والشجر والبشر..
كل ذلك بسبب إهمال بسيط.. عقب سيجارة أو عود كبريت يلقي بها إنسان مهمل في أرض فهبت.. جذوة نار يتركها في متنزه في غابة، أو في بيت، فلا يطفئها فتأتي على الغابة أو البيت..

سلك كهرباء يهمل فيتماس مع غيره فيحدث شرارة تؤدي إلى احتراق..

ورد في البخاري قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فحدث بشأنهم النبي ﷺ فقال: «إن هذه النار هي عدو لكم فإذا نمتم فاطفئوها»...

أرأيت ما أجمل هذا التوجيه.. إنك تأثم إذا لم تطفىء النار.. يحاسبك الله إذا أهملت فألقيت النار على ما يحترق... لأن هذا أمر رسول الله ﷺ وأمر رسول الله من أمر الله...

فاطفىء النار. . أمر يقتضي الوجوب هنا، لا الندب ولا الاستحسان. . فانظر آثار رحمة الله يوم تلتزم أوامر الله. . نجوة من عذاب الاحتراق في مالك في الدنيا. . . وفي نفسك في الآخرة. .

قال محمد ﷺ: «يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، ويلبسون للناس مسوح الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله عزّ وجل: أبي تغترون؟ أم عليَّ تجترئون؟ فبي حلفت لأسلِّطنَّ على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيراناً» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.

يا أخي:

ما أحببت وأنت تمسح عن نفسك وهن النهار، وتعب اليوم أن أحدثك عن صنف مداهن من الناس، وكنت أود هذه الليلة أن أحدثك عن صنف صاف طاهر.. ولكن لا يُعرف الطهر والإشراق والصفاء إلا إذا عرفنا الختل والخداع.. والشيء يظهر حسنه الضدّ..

صنف: تراه كل يوم.. يتظاهر بالتقوى، وهو يستلّ متاع الدنيا بهذا الخداع.. تراه يقطر من لسانه كلمات اللطف، ويظهر في حركاته وداعة الحمل الطاهر، وحشو هذا الجلد، قلب ذئب، ماكر مفترس..

صنف: يهتز كما يهتز العصفور بلله القطر إذا سمع نداء الله، ويبادر مسرعاً إلى المسجد يتظاهر بالحرص على صلاة الجماعة.. ومعاملاته مع الناس فيها مكر وابتزاز واستلاب...

هذا الصنف الذي ينبغي أن يحذره الناس.. يظنون أنهم يخادعون الله والله لا يخدع.. إنها جرأة منهم على الله.. أليس في عملهم هذا فتنة للناس وخداع للطيبين.. فيهم وبأعمالهم تكون فتن الدنيا.. وعاقبة أمرهم خسران: يوم ينكشفون ويظهرون.

لقد رأيت بعض الناس منهم يفرح إذا لُقب بالشيخ أو الحاج. . ويلقي على نفسه مسوح الرهبان، ولين الحملان. . وهو في عمله ونفسه شيطان. . أعاذنا الله من شياطين الإنس والجان.

قال محمـد عليه الصـلاة والسلام: «انظري أين أنت منه فإنما هو جنتك أو ناركِ». أخرجه النسائي.

الحياة لا تكون بدون زواج.. ولا يستمر إنتاج البشر في تعطيل حكمة الله في بناء الأسر وانجاب الأولاد.. والحياة الزوجية جنة أو نار، هناء أو شقاء..

والمـرأة والرجل ساكنان في جنة الحياة الزوجية.. ساكنان مقيمان: أسساها وبنياهـا، وتعبـا: في البيت والمجتمع والعمل، من أجل أن تكون الأسرة ويوجد الأولاد، وعاشا من أجل تربيتهم وتنشئتهم وتعليمهم وتأهيلهم للحياة..

فهل تمر هذه الفترة من حياة الزوجين بدون استمتاع بالمحبة والمودة والسكون والاطمئنان.. ومن يوجد المحبة والاطمئنان وسكن النفس: الرجل أو المرأة؟؟ كلاهما!!..

والـرسـول عليه السلام يقول لأمرأة ذكرت زوجها، انظري أين أنت منه ماذا تفعلين من أجـل سعـادة الحياة معـه، ماذا تقدمين؟ فإنما هو جنتك إن أحسنت المعاشرة.. أو ناركِ إن أسأتها..

ولا يقال: لماذا تُخاطب الزوجة أولاً.. ونقول: لأنها الأقدر على إسعاد الحياة وإشقائها.. والرجل طفل كبير... والمرأة تظل منبع الحنو ودفق الحنان...

- ٧١ -

قال محمد ﷺ: «من أمّ بالناس فليخفف فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة».

عرّجت مرّة على مسجد وقت صلاة المغرب، وصلى الإمام وأطال في القراءة، وأطال في السجود، وأطال في الركوع، وأطال في القعود.. حتى ضاقت أنفس المصلين.. ولاحظت أن رجلاً كان قائماً في الركعة الأولى فقعد في الثانية.. وآخر رعف (أي نزل الدم من أنفه) في الركعة الثالثة فترك الصف وانسحب..

وقام ثالث بعد الصلاة قبل أن يسبح أو يدعو الله وقال للإمام «كدت تقتلني فأنا معي ضغط لا أستطيع أن أجاريك في الإطالة، وأنا حريص على صلاة الجماعة فاتق الله يا إمام».

وقرأت: أن رجلاً ذا حاجة خرج يبتغي رزق الله ويدرك أسواق الصباح، فمرّ بالمسجد يصلي صلاة الفجر.. فدخل في الصف في الركعة الأولى وابتدر الإمام قراءة سورة يوسف (وهي من الطوال) حتى وصل إلى قرب آخرها فقرأ قول الله سبحانه: «فلن ابرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي»، ونسي ما بعدها، وأخذ يكررها فلا هو يسجد ولا هو يتذكر، والرجل ذو الحاجة وقد أزعجه التطويل، ضجر، برم، فانفجر يقول للإمام: «إذا لم يأذن لك أبوك أو يحكم الله لك بقيت معك إلى الظهر» وترك الصف وصلى منفرداً وخرج..

خفة الظل مطلوبة في الإنسان.. خفة الحديث فلا يطيل الإنسان فيه، خفة الزيارة فلا يثقل على الناس، خفة الضيافة فلا يكلف الناس بضيافته فوق حاجتهم كما يفعل الكثيرون، خفة التكليف فلا يكلف الآخرين بما يشق عليهم أو بما لا يطيقون.. خفة الاجتماعات فتقضى فيها الأمور من غير إهذار الأحاديث وإكثارها..

أحكام الإسلام ميسرة لا معسرة، ومبشرة لا منفرة.. حتى في العبادة التي يجب فيها الإنسان أن يطيل الوقوف مع الله.. ومع ذلك اعتبر النبي ﷺ ذلك فتنة فقال لمعاذ بن جبل لما أطال الصلاة: «أفتان أنت يا معاذ».. يعني أنك تجعل الناس يتضايقون بالتطويل فيضيقون بالعبادة..

وحدك إذا صليت لك أن تطيل الصلاة كما تشاء.. أما مع الناس فخفف.. والتخفيف تيسير في كل شيء.. والتيسير محبوب..

فلا تكن يا أخي إماماً أو غير إمام ثقيل الظل، بغيض الحديث، وراع أن في الناس ضعفاء وشيوخاً وأصحاب حاجة، تكسب مودة الناس ومحبتهم، والرفق ما دخل شيئاً إلا زانه فيسر وارفق.

فإنما الناس من زجاج إن لم ترفق به تكسر

قال تعالى : **﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خيرٌ وأبقى﴾** [سورة الأعلى : ١٤].

يا أيها الأعزل إلا من نور ربك. . .
يا أيها اللاهي في شقاء يومك. . .
يا أيها الغارق في حمأة الطين. . .

أفلح بتطهير نفسك أمام الله، وأشرق بتحريك قلبك بذكر الله، وانتش بصلة روحك بصلاة الله. . . استلق في فراشك مستذكراً ربك لحظات، تاركاً لجج الحياة الدنيا فكفاك يا أخي شقاء الساعات.. شقاء يومك في السعي من أجل الرزق والمال. . .

ودع يا أخي ما أنت فيه من لهو الحياة إن كنت ذا لهو، فقد أفلح من طهر نفسه.. فما ينفعك اللهو الحرام. . . وأنت يمكن أن تودع الدنيا في ثوان. . .

شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب   وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها   والفيء في الأفق الشرقي لم يغب

ألْهُ في ما أباح الله، واسْعَ من أجل العيش فلك ثواب. . . ولكن اجعل لنفسك مع ربك لقاء واذكر يوماً ترجع فيه إلى الله. . .

قال سبحانه: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ [سورة الأنفال: ١١].

يا أخي المشاهد:

الدوحة التي تحدرت طاهرة الأصلاب من إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام.. جذور ضاربة في أعماق التاريخ... هي الدوحة التي بسقت بمحمد عليه الصلاة والسلام، عموداً نورانياً متصلاً بالسماء.. وامتدت فروعاً طيبة في تاريخ الإسلام... هي دوحة آل البيت الأكرمين..

كانت طاهرة بإبراهيم وإسماعيل يوم طهر البيت الحرام ﴿**وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود**﴾ وطهر محمد البيت من الأصنام..

كما حمل تعاليم الإسلام طهراً وطيباً ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون**﴾.

وتأصل الطهر في محمد وآله.. يوم قرر الإسلام ذلك في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيث ويطهركم تطهيراً**﴾، الرجس الخبث والفساد، والرجس كل ما يستقذر. والرجس الكفر والانحراف الفكري... فاذهب الله عنهم الرجس.

والتطهير الابعاد عن الفساد.. عن الانحراف وطهرهم الله تطهيراً...

وقرر ذلك في صلواتنا «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد.. وبارك على محمد وعلى آل محمد».. صلاة رحمة وهداية لآل بيته الكرام.. وتبريك نمو وزيادة لهم في يوم الدين.

وأهل البيت هم آله . . أزواجه أمهات المؤمنين . . وأقرباؤه الهاشميون : آل علي والفضل والعباس وجعفر، آلـه المكرمون، الذين ظلوا على العهد وحملوا راية الإسلام وعلم الإسلام على مرّ العصور.

فيا أخي المؤمن تذكر في هدأة الليل أنك تلجأ إلى الله عز وجل وتستشفع بنبيه إليه أن يجيب لك الدعاء، وتستشفع بآل بيته الكرام، وقد كان عمر يستمطر الله بجاههم الغمام . .

وتذكر أن لهم عندك حقاً من الرعاية والتكريم والتعظيم «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» .

وانهم ما لزموا هدي نبيك، بناة بلدك، وحماة دينك، ورافعوا لواء الحق إلى يوم الدين .

. . .

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

نتاج المؤلف المطبوع

١ ـ ظلال المجد.
٢ ـ الشركات في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، جزءان.
٣ـ المجتمع المتكافل في الإسلام.
٤ ـ نظرية العرف.
٥ ـ نظرية العقوبات.
٦ ـ القضاء والقدر.
٧ ـ الإسلام صالح لكل زمان ومكان.
٨ ـ حكم الأطعمة والذبائح في الإسلام.
٩ ـ حكم العقم في الإسلام.
١٠ ـ التنمية والرفاه من منظور إسلامي.
١١ ـ مناهج الفقهاء.
١٢ ـ شروط الاجتهاد.
١٣ ـ الناس شركاء في الأموال العامة.
١٤ ـ رأي إسلامي في مفهوم الاختلاط وحكمه.
١٥ ـ الواردات المالية في عهد الرسول وكيفية إنفاقها.
١٦ ـ الزكاة والضمان الاجتماعي.
١٧ ـ نظرة الإسلام للعمل وأثره في التنمية.
١٨ ـ النظام السياسي في الإسلام.
١٩ ـ أفياء المجد.

٢٠ ـ طرق الاستدلال بالسنة.
٢١ ـ حقوق الإنسان والتميز العنصري في نظر الإسلام.
٢٢ ـ الأسهم والسندات من منظور إسلامي.
٢٣ ـ الشركات في ضوء الإسلام.
٢٤ ـ المدخل إلى الفقه الإسلامي.

الفهرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



تطلب جميع منشوراتنا من :

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

هاتف : ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ص.ب. ٧٤٦٠ - برقياً : بيوشران